جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

التفسير المقاصدي للقرآن الكريم

"خلق الإنسان نموذجا"

إعداد الدكتور

أحمد محمد علي المصري

مدرس التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين بأسيوط

التفسير المقاصدي للقرآن الكريم خلق الإنسان نموذجا

أحمد محمد علي المصري

قسم التفسير، وعلوم القرآن، جامعة الأزهر، أسيوط، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: drahmedelmasry141@gmail com

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة التعريف بالتفسير المقاصدي؛ باعتباره من أهم أنواع التفسير، وتهدف الدراسة إلي تسليط الضوء علي التعريف لمصطلح التفسير المقاصدي، وبيان نشأته وتطوره، وأهميته ومقوماته، ثم جاء التطبيق العملي لهذا التفسير بذكر مقاصد خلق الإنسان في القرآن، وجاءت الدراسة في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة المبحث الأول: مفهوم التفسير المقاصدي، والثاني: علم المقاصد عند المفسرين والثالث: أهمية التفسير المقاصدي ومقوماته، و الرابع: مقاصد القرآن في خلق الإنسان، وأبرزت الدراسة أهمية علم مقاصد القرآن، باعتباره ملمحا تجديديا لعلم التفسير، مع بيان أهم المقاصد والغايات من خلق الإنسان، وهي الخلافة، والعبادة، والعمارة .

الكلمات المفتاحية: التفسير، المقاصد، القرآن، خلق الإنسان.

The Maqasid Interpretation of the Holy Quran He Created Man as a Model

Ahmed Muhammad Ali Al-Masry
Teacher of interpretation and sciences of the Qur'an
Faculty of Fundamentals of Religion in Assiut
Department of Interpretation and Quranic Sciences, Al-Azhar University, Assiut, Arab Republic of Egypt
E mail: drahmedelmasry141@gmail com

Research Summary:

This study deals with the definition of maqasid interpretation. As it is one of the most important types of interpretation, and the study aims to shed light on the definition of the term maqasid tafsir, its origin and development, its importance and components, then the practical application of this interpretation came by mentioning the purposes of human creation in the Qur'an **The first topic**: the concept of intended interpretation.

And **the second**: the science of the objectives of the commentators, the third: the importance of the interpretation of the maqasid and its constituents, and the fourth: the objectives of the Qur'an in the creation of man. Succession Worship and architecture.

Key Words: Interpretation, Objectives, Quran, Creation of man

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم المنّان الذي أن أنزل القرآن تبيانا لكل شيء وهدي ورحمة وبشري للعالمين، كتابَ الله الخالد الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تفني فوائده، بحراً زاخرا بالمعاني مع عذوبة في التلاوة، وقوة في التأثير، وحسن البيان بأخصر عبارة، وأدق إشارة.

والصلاة والسلام علي خاتم النبيين والمرسلين، سيد الأولين والأخرين، ورحمة الله للعالمين، وعلي آله وصحبه الطيبين الطاهرين إلي يوم الدين.

وبعد،،،،

فإن القرآن الكريم آية الرسالة، ومصدر الفهم، وينبوع الحكمة، ومنبع الفوائد؛ والمفسرون هم أحظي الناس بصحبة القرآن؛ يستهدون بنوره ويستظلون بظله الوارف في جنبات الحياة.

وللقرآن الكريم مقاصد شتي لا تحيط بها العبارة، أو يستوعبها الحصر؛ فهو دستور جامع، ومنهج واضح، ورحمة شاملة إلي الإنسانية جمعاء.

وعلم مقاصد القرآن؛ علم لا غني عنه لأنه نتيجة للتدبر، فيهدي إلي لب المعني وجوهر الدلالة، ويوقف المفسر علي معاني التنزيل، ومرادات النص القرآني بشموله وإحاطته، على قدر الطاقة البشرية.

وقد نعي القرآن الكريم أقواما أعرضوا عن التدبر، فغفلوا عن سرِّه، ولم يلتفتوا إلي مقاصده؛ قال تعالي: {**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**} [محمد: ٢٤]. قال الإمام الطاهر بن عاشور"أليس قد وجب على الآخذ في هذا

الفن أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها؟... فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتمِّ بيان يحتمله المعنى، ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلا وتفريعا فلا جرم كان رائد المفسر في ذلك أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله"(١).

إنّ التفسير المقاصدي يعتبر تفسيرا تجديدياً، ويعد شرحاً للعلاقة بين البيان القرآني ومقاصده وهو من أرفع تطبيقات المفسرين لمصطلح التفسير المقاصدي؛ فإذا كانت مقاصد القرآن الكريم علي هذه الدرجة من السمو والثراء، فلابد أن يكون الوعاء الذي تصبُّ فيه الدلالة عليها لائقا بهذه الصفات؛ لأن الوسائل تستمد شرفها من شرف الغايات، وقد أثرت هذه المقاصد في صنوف البيان القرآني وآلياته

ومع وعي المفسر بأهمية (التفسير التحليلي أو التفصيلي) الذي يعتمد علي معاني الألفاظ ودلالة الجملة فإن (الفهم الكلي أو الشمولي) لا ينبغي أن يغيب عن خاطره في تأمل المقصد العام.

ونثر المفسرون القدامى ما استوعبوه من مقاصد للقرآن قبل ظهور هذا المصطلح تجاوبا مع عبارة القرآن الكريم في بيان مقاصده، فقاموا بتحليلها وبيان ما فيها من دلالات تجلي مقصده الشريف.

وفي العصر الحديث شغل التفسير المقاصدي عناية بعض المفسرين والدارسين المعاصرين علي اعتباره لونا من أعلي أنواع التفسير، لأنه يجنح إلي الغاية الربانية من العبارة القرآنية، وكان علي رأس هؤلاء العلامة الطاهر بن عاشور، حتي يكاد نطلق علي تفسيره – التحرير والتنوير – التفسير المقاصدي.

---

(١) التحرير والتنوير ٣٩/١-٤٠.

وإذا حدث الوعي بمقاصد القرآن وتجليتها وإبرازها والتعامل معها باعتبارها الأساس المتين، والمنهج القويم؛ ستصبح نظامًا منطقيًا إسلاميًا يضبط حركة الفكر الإسلامي كله، ويعلّيه من الوقوع في الخطأ أو الانحراف. وهذه الخطوة ضرورية لإعادة تشكيل العقل المسلم وإعادة ترتيب أولوياته لتكون له ضابطا في حياته وتكون له عونا في تجديد الدنيا بالدين؛ من هنا كانت أهمية هذا البحث ودوره التطبيقي بعنوان **(التفسير المقاصدي للقرآن الكريم خلق الإنسان نموذجا)** وجاء في **مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.**

أما **المقدمة** تحدثت فيها عن الموضوع وأهميته ومحتواه.

المبحث الأول: مفهوم التفسير المقاصدي، وفيه ثلاثة مطالب.

- **المطلب الأول:** تعريف التفسير والمقاصد.
- **المطلب الثاني:** بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة.
- **المطلب الثالث:** التفسير المقاصدي.

المبحث الثاني: علم المقاصد عند المفسرين، وفيه مطلبان.

- **المطلب الأول:** مراحل التفسير.
- **المطلب الثاني:** نشأة التفسير المقاصدي وتطوره.

المبحث الثالث: أهمية التفسير المقاصدي ومقوماته، وفيه مطلبان.

- **المطلب الأول:** أهمية التفسير المقاصدي.
- **المطلب الثاني:** مقومات التفسير المقاصدي.

المبحث الرابع: مقاصد القرآن في خلق الإنسان، وفيه ثلاثة مطالب.

- **المطلب الأول:** الخلافة.
- **المطلب الثاني:** العبادة.
- **المطلب الثالث:** العمارة.

ثم جاءت **الخاتمة:** وكانت فيها خلاصة ما كتب، وتلخيص ماسبق، واشتملت علي أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم أردفتها بالتوصيات، وأخيرا وضعت قائمة بمراجع البحث ومصادره.

وفي الختام أسأل الله العلي القدير؛ أن يرزقنا حلاوة الإيمان و تلاوة القرآن، وفهم آياته، وتدبر معانيه، والعمل بأحكامه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصل اللهم الصلاة الدائمة الكاملة علي الحبيب المصطفي وآله وصحبه أجمعين

د. أحمد محمد علي المصري

المبحث الأول
مفهوم التفسير المقاصدي

التفسير المقاصدي مركب وصفي؛ يتكون من كلمتين تفسير ومقاصد، وكلاهما له معني لغوي واصطلاحي ومن هذين المصطلحين يخرج المصطلح الثالث وهو التفسير المقاصدي.

المطلب الأول
تعريف التفسير والمقاصد

أولا: التفسير

التفسير في اللغة تدور مادته حول الكشف والبيان والإيضاح والتفصيل(١).

وفي الاصطلاح تعددت التعريفات الاصطلاحية للتفسير نكتفي منها بتعريفين لأنهما الأقرب إلي علم المقاصد وهما:

الأول: تعريف الإمام الزركشي: «التفسير هو علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد (ﷺ)، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمِه "(٢).

ولعل في عطف الحِكَم علي الأحكام إشارة إلي الهدف الأسمى من التفسير وهي استخراج مقاصد القرآن.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت، ٥/٥٥). ومقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط١، ١٩٧٩م، ٤/٥٠٤. والقاموس المحيط للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة ط ٨، بيروت، ١٤٢٦، ٢/١١٠. والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني تحقيق محمد سيد كيلاني، ط دار المعرفة، بيروت ص ٣٨٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:١، ١٩٥٧م، ١/١٣.

الثاني: تعريف الطاهر ابن عاشور: «هو اسم للعِلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع»(١).

وفي هذا التعريف إلماح للمقاصد فالمعني اللغوي غالبا ما يكون أوسع من المعني الاصطلاحي، وأوسع مجالاً في الحديث عن فوائد الآيات.

ثانيا: تعريف المقاصد

المقاصد جمع مقصد وهي علي وزن مفاعل ويرجع أصل هذه الكلمة إلي مادة «قصد» وإليها ترجع جميع اشتقاقات الكلمة يقول ابن فارس: الْقَافُ وَالصَّادُ وَالدَّالُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ، يَدُلُّ أَحَدُهَا عَلَى إِتْيَانِ شَيْءٍ وَأَمِّهِ، وَالْآخَرُ عَلَى اكْتِنَازٍ فِي الشَّيْءِ.

فَالْأَصْلُ: قَصَدْتُهُ قَصْدًا وَمَقْصَدًا. وَمِنَ الْبَابِ: أَقْصَدَهُ السَّهْمُ، إِذَا أَصَابَهُ فَقَتَلَ مَكَانَهُ، وَكَأَنَّهُ قِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَحِدْ عَنْهُ(٢).

والاستعمال القرآني للفظ (قصد) في القرآن يدور حول الاستقامة والاعتدال والتوسط في ستة مواضع هي(٣).

(١) «اقصد"في قوله تعالى: **{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ}** [لقمان: ١٩] ومعناه تَوَسَّطْ فِيهِ بَيْنَ الدَّبِيبِ وَالْإِسْرَاعِ وَعَلَيْكَ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ(٤).

(٢) «قَصدُ» في قوله تعالى: **{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}** [النحل: ٩] أَيْ: عَلَى اللَّهِ بَيَانُ قَصْدِ السبيل، فحذف المضاف

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور التونسي ــ الطبعة التونسية: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧، ١١/١.

(٢) معجم مقاييس اللغةلابن فارس ٩٥/٥.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الجيل، بيروت، ص ٥٤٥.

(٤) تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي، والسيوطي، دار الحديث القاهرة، ٥٤٢/١.

وهو البيان. والسبيل: هو الإسلام، أَيْ: عَلَى اللَّهِ بَيَانُهُ بِالرُّسُلِ وَالْحِجَجِ وَالْبَرَاهِينِ. وَقَصْدُ السَّبِيلِ: اسْتِعَانَةُ الطَّرِيقِ، يُقَالُ: طَرِيقٌ قَاصِدٌ أَيْ يُؤَدِّي إِلَى الْمَطْلُوبِ(١).

(٣) «قاصداً» في قوله تعالى: {**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ**} [التوبة: ٤٢] أي: سفرا سهلاً معلوم الطريق(٢).

(٤) «مقتصد» في قوله تعالى: {**فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ**} [لقمان: ٣٢] أي: عدل في العهد، وفي البر بما عاهد عليه في البحر(٣) وقوله تعالي: {**فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ**} [فاطر: ٣٢] أي الملازم للقصد وهو ترك الميل(٤).

(٥) «مقتصدة "في قوله تعالى: {مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ} [المائدة: ٦٦] أَرَادَ بِالِاقْتِصَادِ قَوْمًا لَمْ يُؤْمِنُوا، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْمُؤْذِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَالِاقْتِصَادُ الِاعْتِدَالُ فِي الْعَمَلِ، وَهُوَ مِنَ الْقَصْدِ، وَالْقَصْدُ إِتْيَانُ الشَّيْءِ، تَقُولُ: قَصَدْتُهُ وَقَصَدْتُ لَهُ وَقَصَدْتُ إِلَيْهِ بِمَعْنًى.(٥)

ويمكن القول بأن القَصْد والمقصَد والمقاصد في الأصل تعني العزم والتوجه نحو الشيء ومن استعمالاتها الاستقامة والاعتدال والتوسط وتعتبر الحكمة من

(١) تفسير القرطبي تحقيق: أحمد البردوني دار الكتب المصرية القاهرة ط الثانيـــة، ١٩٦٤م، ٤١٢/١٩.
(٢) السابق ١٥٣/٨.
(٣) السابق ٨٠/١٤.
(٤) السابق ٣٤٦/١٤.
(٥) السابق ٢٤١/٦.

أقرب تلك المعاني للمقاصد وورودها في القرآن أكثر[١]، ويفهم من ذلك أن المقصد له بداية ونهاية؛ فالتوجه يكون بداية، والبداية لابد لها من نهاية؛ ونهايته تكون عند الغاية أو الهدف المنتهي إليه، فمن أراد الحج مثلا يقول قصدت البيت الحرام فبدايته التوجه نحو البيت، ونهايته الوصول إلي الكعبة المشرفة.

المقاصد اصطلاحا: "الغاية والهدف من تصرفات الشارع والمكلفين"[٢].

وهي "المعاني والحكم الملحوظة للشارع"[٣].

ومن الملاحظ علي هذين التعريفين أنها تميل إلي التقييد بلفظ – الشارع والمكلفين – فهي أقرب إلي مقاصد الشريعة لأنها تتعلق بآيات الأحكام والتشريع في القرآن.

ومن الألفاظ المستعملة في معنى المقاصد علي ألسنة الفقهاء والأصوليين والمفسرين، الأهداف، الغايات، الأغراض، الحكم، المعاني، الأسرار[٤].

ولكن التعبير بالمقاصد أدق الألفاظ – خاصة مع القرآن – لما لها من معني شمولي مستفاد من المعني اللغوي، ومعني عام من ارتباط الآيات والسور يجمعها في مقصود واحد، ووسائل توصل إلي تلك المقاصد.

---

(١) المدخل إلي مقاصد القرآن الكريم لعبد الكريم حامدي، مكتبة الرشد الرياض، ط١ ٢٠٠٧م.

(٢) معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس و حامد صادق قنيبي، دار النفائس، ط ٢، ١٩٨٨م، ص ٤٥٤ بتصرف.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية، للطاهر بن عاشور، تحقيق محمد الحبيب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر ١٦٥/٣.

(٤) مقاصد القرآن الكريم من تشريع الأحكام، د/عبد الكريم الحامدي، دار ابن حزم، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ٢٠.

المطلب الثاني
بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة

يُعرَّف مصطلح المقاصد بما يضاف إليه؛ ففي الغالب يضاف إلي الشريعة وهو المشهور كما يضاف إلي القرآن الكريم، وعلي الرغم من كون مقاصد القرآن أعم وأشمل من مقاصد الشريعة؛ فهي الأصل، ومقاصد الشريعة فرع، ومن القرآن تستمد، إلا أن مصطلح مقاصد الشريعة هو الأشهر والأكثر دراسة وبحثا وتصنيفا عند العلماء منذ القديم وإلي اليوم

تعريف مقاصد الشريعة:

قال الإمام الشاطبي: في ذكر مفهوم المقصود الشرعي «أن المقصود الشرعي من الخطاب الوارد علي المكلفين تفهيم ما لهم وما عليهم، مما هو مصلحة لهم في دنياهم، وأخراهم، وهذا يستلزم كونه بينا واضحا لا إجمال فيه ولا اشتباه"[(١)].

وقال الطاهر ابن عاشور: في تعريف المقاصد العامة للشريعة «مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها؛ بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة»[(٢)]، وعرفها الشيخ علال الفاسي: «الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها»[(٣)].

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي، تحقيق مشهور حسن، دار بن عفان ط ١، ١٩٩٧، ٤/١٤٠.

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور، ص ٢٥١.

(٣) مقاصد الشريعة ومكارمها لعلال الفاسي، مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء ص٣.

تعريف مقاصد القرآن:

عرفه العز بن عبد السلام «مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها»(١).

والتعريف يلمح للمقصد العام للإسلام بأنه جلب للمصالح ودرء للمفاسد، وهذا التعريف قريب من تعريفات كثير من علماء مقاصد الشريعة.

وقال د. عبد الكريم حامدي، ويمكن تعريف مقاصد القرآن بناءً علي ما ورد في التعاريف لمقاصد الشريعة «مقاصد القرآن هي الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقا لمصالح العباد"(٢).

ويضاف عليه بأن مقاصد القرآن هي المقاصد التي دارت عليها سور القرآن الكريم وآياته تعريفا برسالة الإسلام، وتحقيقا لمنهجه في هداية البشر، والأقرب للصواب أنه لا فصل بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة، إذ القرآن الكريم هو لسان الشرع المُعَبِّر عنه، ووعائه الذي يستوعب مقاصده الكلية وأحكامه الجزئية، ومنه تستنبط مقاصده وحكمه وعلله.

ولكن بينهما علاقة «عموم وخصوص وجهي»؛ فمن جهة يمكن عدُّ مقاصد القرآن أعم من مقاصد الشريعة باعتبار الموضوع؛ فمقاصد القرآن تشمل العقيدة والأخلاق والترغيب والترهيب، ومن جهة أخري تعد مقاصد الشريعة أعم باعتبار وسائل تحصيلها إذ تشمل مصادر التشريع كلها، علي خلاف تحصيل مقاصد القرآن(٣).

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ١٩٩١م، ٣/١.

(٢) مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، د. عبد الكريم حامدي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان ٢٠٠٨ م ص ٢٩.

(٣) التفسير المقاصدي للقرآن الكريم، علي محمد أسعد، مجلة إسلامية المعرفة، عدد ٨٩، ٢٠١٧ م.

المطلب الثالث
التفسير المقاصدي

من خلال ما سبق ذكره من تعريفات لمقاصد الشريعة عموما والقرآن خصوصا يمكن تعريف التفسير المقاصدي للقرآن الكريم بأنه «**هو ذلك النوع من التفسير الذي يبحث في معاني ألفاظ القرآن الكريم، وتوسيع دلالتها اللغوية، مع بيان الحكم والغايات التي أنزل من أجلها القرآن وشرعت من أجلها الأحكام**»)[1].

ويمكن تقسيم التعريف إلي:

الشق الأول: ويتضمن كشف الدلالات اللغوية لألفاظ القرآن الكريم، وبهذا يستطيع المفسر أن يفسر القرآن وفقا للمقاصد العامة من القرآن، فإن احتمال الألفاظ لأوجه لغوية متعددة، وقراءات متواترة، فيه يسر ورفع للمشقة الناتجة عن تفسير واحد للفظ، وهذا المنهج التيسيري من المقاصد التي جاء بها القرآن: {**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**} [البقرة: ١٨٥].

الشق الثاني: ويتضمن إبراز الحكم والأسرار والغايات؛ التي أنزل الله تعالى من أجلها القرآن، وشرع سبحانه من أجلها الأحكام فإن ذلك إظهار لعظمة القرآن، وبيان للمقاصد التي جاء لتحقيقها من تشريع في إصلاح الفرد والمجتمع مع بيان الهدف والغاية من القصص القرآني المبهر في نظمه وسرده.

الشق الثالث: إن التفسير المقاصدي يراعي العلوم والأدوات الضرورية للتفسير وذلك لاستبعاد «القراءات المعاصرة "التي تدعي المقاصدية لأنها تحول المقصد من المقصد القرآني إلي مقصد المفسر وذلك بتحميل النص مالا يحتمل.

---

(١) الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم، رضوان الأطرش ونشوان عبده، مجلة الإسلام في آسيا العدد الأول، ٢٠١١م.

ويمكن أن يضاف للتعريف «مع بيان كيفية الإفادة منها» كي تتعانق النظرية مع التطبيق، ولبيان كيفية استنزال هدايات القرآن الكريم علي الواقع المعاصر، تتسع دائرة الهداية فتشمل الفرد والأسرة والمجتمع بل الإنسانية جمعاء، وبالهداية تتم العناية والرعاية من رب البرايا.

وبذلك يكون التفسير المقاصدي يعد أرقي أنواع التفسير لأنه يبحث عن الغايات والأهداف التي أنزل القرآن لأجلها مع بيان كيفية الاستفادة منها وتطبيقاتها مراعاة لمصالح العباد؛ لأن المقاصد بالنسبة للمفسر بمثابة العين المبصرة التي تهديه إلي أقرب المعاني والدلالات، وتعصمه من أن يذهب بعيدا عن ما يتطلبه التوجيه والتأويل، وما يستدعيه التفسير والاستنباط.

المبحث الثاني
علم المقاصد عند المفسرين

يتناول هذا المبحث الحديث عن نشأة تناول المفسرين للتفسير المقاصدي وتطوره وما طرأ علي التفسير من علوم وافدة، ومن المعلوم أن نشأة التفسير عموما قد مرت بمراحل ثلاث

المطلب الأول
مراحل التفسير

مر التفسير بأطوار كثيرة حتي اتخذ هذه الصورة التي هو عليها الآن من التصانيف وكتب التفاسير المختلفة وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولي: التفسير في عهد النبي (ﷺ) وأصحابه الكرام.

المرحلة الثانية: التفسير في عهد التابعين.

المرحلة الثالثة: التفسير في عصر التدوين.

ثم خطا التفسير بعد ذلك خطوة، هي أوسع الخطى وأفسحها، امتدت من العصر العباسي إلى يومنا هذا، فبعد أن كان تدوين التفسير مقصوراً على رواية ما نُقِل عن سَلَف هذه الأمة، تجاوز بهذه الخطوة الواسعة إلى تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلي بالتفسير النقلي، وكان ذلك على تدرج ملحوظ في ذلك. وهكذا تدرج التفسير، واتجهت الكتب المؤلَّفة فيه اتجاهات متنوعة.[1]

(١) ينظر التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠١٢م ص ١٣٢ بتصرف.

المطلب الثاني
نشأة التفسير المقاصدي وتطوره

إنّ نشأة التفسير المقاصدي تعود في أساسها إلي تفسير الصحابة رضوان الله عليهم وقد فهموها بمجرد السليقة مع استنباط المصالح الكلية التي جاء التشريع من أجلها فقد فسر ابن عباس الحكمة في قوله تعالي: {**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**} [البقرة: ٢٦٩] بفقه القرآن(١)، ولا شك أنه لم يقصد المعاني الظاهرة، بل المعاني الباطنة للقرآن، وهي أغراضه، وغاياته، فالفقه هو إدراك المعاني الدقيقة غير الظاهرة وأيضا قول علي كرم الله وجهه «إلا فهما يعطيه الله رجلاً في القرآن"(٢) فكانوا هم الأفهم والأقدر علي فهم مقاصد القرآن الكريم لقربهم من عهد الوحي.

ولقد كان لنشأة الفقه وأصوله دورا بارزا في نشأة المقاصد، ووضوح فكرتها، ويظهر ذلك جليا في تناول علماء الأصول لمقاصد الشريعة «علي اعتبار أنها جزء من مقاصد القرآن "مثل الإمام الجويني في كتابه «البرهان في أصول الفقه»، وحجة الإسلام الغزالي في كتابه «المستصفي في علم الأصول "وقد صرح في كتابه «جواهر القرآن"فقد عقد فصلا بعنوان «حصر مقاصد القرآن ونفائسه»، وسلطان العلماء العز بن عبد السلام حيث أشار إلي «مقاصد القرآن" في كتابه «قواعد الأحكام"ما نصه «ومعظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها، فلا نسبة بمصالح الدنيا ومفاسدها إلى مصالح الآخرة ومفاسدها، لأن مصالح الآخرة خلود الجنان ورضا الرحمن، مع النظر إلى وجهه الكريم، فيا له من نعيم مقيم،

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٥٧٧/٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦٩/٤ حديث رقم ٣٠٤٧.

ومفاسدها خلود النيران وسخط الديان مع الحجب عن النظر إلى وجهه الكريم، فيا له من عذاب أليم[١].

ونجد الإمام الشاطبي في كتابه: «الموافقات "المقاصد الشرعية ضربان مقاصد أصلية ومقاصد تابعة"[٢].

واستعمل بعض المفسرين كلمة «المقاصد» في تصانيف كتبهم مثل مجد الدين الفيروزآبادى (المتوفي: ٨١٧هـ) في كتابه: «الدرّ النظيم، المرشد إلى مقاصد القرآن الكريم"[٣]، وكذلك الإمام الحافظ برهان الدين البقاعي (المتوفي ٨٨٥ هـ) في كتابه «مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ» قال في مقدمته «الحمد للهِ الذي أعلم سور الكتاب، بما دل على مقاصدها أولو الألباب"

وقال أيضا: «فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه؛ على أتقن وجه، وأبدع نهج،... فإذا وصل الأمر إلى غايته، ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النظر عليه، على نهج آخر بديع»[٤].

وجُهد المفسرين في التنقيب عن مقاصد السور نابع من اعتبارهم السورة كيانا واحدا له علاقته القوية بالنظم القرآني في جملته، فالسورة من القرآن كالعضو من الجسد؛ مهما كان فيها من معان جزئية تمثلها الآيات، فهي ترجع إلي المقصد العام من القرآن الكريم، لذا جاء التحدي من الله – جل في علاه – ولو بسورة.

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٧/١.

(٢) الموافقات، لأبي اسحاق الشاطبي، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت ١٥٦/٣.

(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، مكتبة المثني، بغداد، ٧٣٦/١.

(٤) مصاعد النظر، للبقاعي، ١٤٩/١.

وجاء ذكر مقاصد القرآن بشكل أوضح عند ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١) في مقدمة تفسيره تحت باب سماه: «في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن "حيث ميَّز في مقاصد القرآن بين عام وتفصيلي، فقال: «أما الجملة فاعلم أن المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، ثم إن هذا المقصد يقتضى أمرين لابد منهما وإليهما ترجع معاني القرآن كله: أحدهما؛ بيان العبادة التي دعي الخلق إليها، والأخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وترددهم إليها»، ثم قسَّم معنى العبادة إلى معنيين: أصول العقائد وأحكام الأعمال، وقسم البواعث إلى معنيين هما: الترغيب والترهيب؛ وفي تفصيله لمقاصد القرآن ذكر سبعة معاني هي: (الربوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد، والقصص)[١] ثم ذكر ما يندرج تحت كل معنى من هذه المعاني من أحكام ودلالات.

ثم جاء عصر النهضة العلمية الحديثة فانطلقت دعوات التجديد في كل العلوم وكان للتفسير نصيب من ذلك التجديد فظهر الاتجاه العلمي، والاجتماعي الأدبي، والاتجاه المقاصدي في التفسير ليثبت أن التفسير علم متجدد وأن القرآن صالح لكل زمان ومكان. وكان من رواد هذه النهضة الأستاذ الإمام محمد عبده فنجده يقسم التفسير إلى قسمين:

أحدهما: جاف مبعد عن الله وكتابه، وهو ما يقصد به حل الألفاظ، وإعراب الجمل، وبيان ما ترمى إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية. قال: وهذا لا ينبغي أن يُسمى تفسيراً. وإنما هو ضرب من التمرين في الفنون، كالنحو، والمعاني، وغيرهما.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، تحقق عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ، ١٤/١ وما بعدها بتصرف.

وثانيهما: ذهاب المفسِّر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام، على الوجه الذى يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام، ليتحقق فيه معنى قوله تعالى: {**وَهُدًى وَرَحْمَةٌ**} [الأنعام: ١٥٧] ونحوهما من الأوصاف.. قال الأستاذ الإمام:"وهذا هو الغرض الأول الذى أرمى إليه في قراءة التفسير".(١).

ومن أبرز من تناولوا مقاصد القرآن في كتبهم الشيخ محمد رشيد رضا تلميذ الشيخ محمد عبده. فقد قام الشيخ رشيد رضا بتزويد تفسيره «المنار»، بكثير من مقاصد السور، من خلال تذييل تفسير كل سورة بملحق لأهم موضوعاتها وقضاياها. وأيضاً الشيخ أحمد مصطفي المراغي الذي ذيل تفسير جلً السور بخلاصة عما حوته من موضوعات، وما تضمنته من أحكام، وما رمت إليه من مقاصد وأغراض. والشيخ محمود شلتوت في كتابه «إلي القرآن الكريم»،حيث ذكر أن مقاصد القرآن تدور حول نواح ثلاث؛ العقيدة والأخلاق والأحكام، والعلامة الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه «النبأ العظيم»، وكذلك الاستاذ محمد عزة دروزة في تفسيره بعنوان «التفسير الحديث»، فقد التزم فيه أن يضع مقدمة أو تعريفاً موجزاً للسور قبل البدء بتفسيرها، يتضمن: وصفها ومحتوياتها وأهم ما امتازت به.

والشيخ الزرقاني من خلال كتابه: «مناهل العرفان"ذكر «مقاصد القرآن"في معرض كلامه حول ترجمة القرآن فقال: «مقاصد القرآن الكريم: بما أن الترجمة عرفا لا بد أن تتناول مقاصد الأصل جميعا فإنا نقفك على أن لله تعالى في إنزال كتابه العزيز ثلاثة مقاصد رئيسية أن يكون هداية للثقلين وأن يقوم آية لتأييد النبي (ﷺ) وأن يتعبد الله خلقه بتلاوة هذا الطراز الأعلى من كلامه المقدس. وهداية القرآن تمتاز بأنها عامة وتامة وواضحة.»(٢).

---

(١) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م ٣٢/١.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ: محمد الزرقاني، تحقيق فواز أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولي ١٩٩٥م.

ولكن ظهر التفسير المقاصدي بوضوح وجلاء علي يدي مفسرين جليلين أثري كل منهما هذا التفسير ووضع قواعده وأسسه وبيّن منهجه ومعالمه:

أولهما: الشيخ محمد رشيد رضا

ثانيهما: الإمام الطاهر بن عاشور

أولا: محمد رشيد رضا (١٨٦٥ –١٩٣٥م)

صاحب مجلة: «المنار "وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير ــ لازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. وله تفسير القرآن الكريم ولم يكمله ويسمي – تفسير المنار – وله كتاب الوحي المحمدي وغيره.(١)

ذكر الشيخ رشيد رضا تقسيم المقاصد القرآنية تحت عنوان: «مقاصد القرآن في ترقية نوع الإنسان "فصّل القول في هذه المقاصد محددا إياها في عشرة، سأكتفي بذكر عناوينها الكبرى فقال:

"وَإِنَّنَا نُقَسِّمُ هَذِهِ الْمَقَاصِدَ إِلَى أَنْوَاعٍ وَنُبَيِّنُ حِكْمَةَ الْقُرْآنِ، وَمَا امْتَازَ بِهِ فِي كُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا بِالْإِجْمَالِ.

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: مِنْ مَقَاصِدِهِ الْإِصْلَاحُ الدِّينِيُّ لِأَرْكَانِ الدِّينِ الثَّلَاثَةِ: الرُّكْنُ الْأَوَّلُ لِلدِّينِ الْإِيمَانُ بِاللهِ تَعَالَى، **والثاني:** الإيمان بعقيدة البعث والجزاء، **والثالث:** العمل الصالح.

الْمَقْصِدُ الثَّانِي مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ: بَيَانُ مَا جَهِلَ الْبَشَرُ مِنْ أَمْرِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَوَظَائِفِ الرُّسُلِ.

---

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢م، ١٣/٦.

الْمَقْصِدُ الثَّالِثُ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ: بَيَانُ أَنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، وَالْعَقْلِ وَالْفِكْرِ، وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَالْبُرْهَانِ وَالْحُجَّةِ، وَالضَّمِيرِ وَالْوِجْدَانِ، وَالْحُرِّيَّةِ وَالِاسْتِقْلَالِ.

الْمَقْصِدُ الرَّابِعُ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ: الْإِصْلَاحُ الِاجْتِمَاعِيُّ الْإِنْسَانِيُّ وَالسِّيَاسِيُّ الَّذِي يَتَحَقَّقُ بِالْوَحَدَاتِ الثَّمَانِ.

وَحْدَةُ الْأُمَّةِ – وَحْدَةُ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ – وَحْدَةُ الدِّينِ – وَحْدَةُ التَّشْرِيعِ بِالْمُسَاوَاةِ فِي الْعَدْلِ – وَحْدَةُ الْأُخُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ وَالْمُسَاوَاةِ فِي التَّعَبُّدِ – وَحْدَةُ الْجِنْسِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ الدَّوْلِيَّةِ – وَحْدَةُ الْقَضَاءِ – وَحْدَةُ اللُّغَةِ.

الْمَقْصِدُ الْخَامِسُ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ: تَقْرِيرُ مَزَايَا الْإِسْلَامِ الْعَامَّةِ فِي التَّكَالِيفِ الشَّخْصِيَّةِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالْمَحْظُورَاتِ.

(وَنُلَخِّصُ أَهَمَّهَا بِالْإِجْمَالِ فِي عَشْرِ جُمَلٍ)

(١) كَوْنُهُ وَسَطًا جَامِعًا لِحُقُوقِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ وَمَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَ تَعَالَى: **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)** {سورة البقرة آية: ١٤٣}. وَقَدْ بَيَّنَّا فِي تَفْسِيرِهَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ وَسَطٌ بَيْنَ الَّذِينَ تَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْحُظُوظُ الْجَسَدِيَّةُ وَالْمَنَافِعُ الْمَادِّيَّةُ كَالْيَهُودِ، وَالَّذِينَ تَغْلِبُ عَلَيْهِمُ التَّعَالِيمُ الرُّوحِيَّةُ، وَتَعْذِيبُ الْجَسَدِ وَإِذْلَالُ النَّفْسِ وَالزُّهْدُ كَالْهِنْدُوسِ وَالنَّصَارَى، وَإِنْ خَالَفَ هَذِهِ التَّعَالِيمَ أَكْثَرُهُمْ.

(٢) كَوْنُ غَايَتِهِ الْوُصُولَ إِلَى سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ بِالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، وَمَعْرِفَةِ اللهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، لَا بِمُجَرَّدِ الِاعْتِقَادِ وَالِاتِّكَالِ، وَلَا بِالشَّفَاعَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ، وَتَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

(٣) كَوْنُ الْغَرَضِ مِنْهُ التَّعَارُفَ وَالتَّأْلِيفَ بَيْنَ الْبَشَرِ، لَا زِيَادَةَ التَّفْرِيقِ وَالِاخْتِلَافِ.

(٤) كَوْنُهُ يُسْرًا لَا حَرَجَ فِيهِ وَلَا عُسْرَ وَلَا إِرْهَاقَ وَلَا إِعْنَاتَ، قَالَ اللهُ (ﷻ): **(لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)** {سورة البقرة آية: ٢٨٦.

(٥) مَنْعُ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَإِبْطَالُ جَعْلِهِ تَعْذِيبًا لِلنَّفْسِ، بِإِبَاحَةِ الطَّيِّبَاتِ وَالزِّينَةِ بِدُونِ إِسْرَافٍ وَلَا كِبْرِيَاءَ.

(٦) قِلَّةُ تَكَالِيفِهِ وَسُهُولَةُ فَهْمِهَا.

(٧) انْقِسَامُ التَّكْلِيفِ إِلَى عَزَائِمَ وَرُخَصٍ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُرَجِّحُ جَانِبَ الرُّخَصِ، وَابْنُ عُمَرَ يُرَجِّحُ الْعَزَائِمَ. وَالنَّاسُ دَرَجَاتٌ فِي التَّقْصِيرِ وَالتَّشْمِيرِ، وَالِاعْتِدَالِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)** {سورة فاطر آية: ٣٢}.

(٨) نُصُوصُ الْكِتَابِ وَهَدْيُ السُّنَّةِ مُرَاعًى فِيهِمَا دَرَجَاتُ الْبَشَرِ فِي الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ وَضَعْفِهَا.

(٩) مُعَامَلَةُ النَّاسِ بِظَوَاهِرِهِمْ وَجَعْلُ الْبَوَاطِنِ مَوْكُولَةً إِلَى اللهِ تَعَالَى.

(١٠) مَدَارُ الْعِبَادَاتِ كُلِّهَا عَلَى اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ (ﷺ) فِي الظَّاهِرِ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا رَأْيٌ شَخْصِيٌّ وَلَا رِيَاسَةٌ، وَمَدَارُهَا فِي الْبَاطِنِ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى وَصِحَّةِ النِّيَّةِ، وَالْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي الْأَمْرَيْنِ كَثِيرَةٌ.

الْمَقْصِدُ السَّادِسُ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ: بَيَانُ حُكْمِ الْإِسْلَامِ السِّيَاسِيِّ الدَّوْلِيِّ: نَوْعِهِ وَأَسَاسِهِ وَأُصُولِهِ الْعَامَّةِ.

الْمَقْصِدُ السَّابِعُ: الْإِرْشَادُ إِلَى الْإِصْلَاحِ الْمَالِيِّ.

الْمَقْصِدُ الثَّامِنُ: إِصْلَاحُ نِظَامُ الْحَرْبِ وَدَفْعُ مَفَاسِدِهَا وَقَصْرُهَا عَلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ لِلْبَشَرِ.

الْمَقْصِدُ التَّاسِعُ: إِعْطَاءُ النِّسَاءِ جَمِيعَ الْحُقُوقِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ.

الْمَقْصَدُ الْعَاشِرُ: تَحْرِيرُ الرَّقَبَةِ."[1]

ومن الملاحظ علي هذا التقسيم أن كل الأنواع ترمي إلي هدف واحد وهو إصلاح الإنسان وهو ما عنون به الشيخ بقوله «مقاصد القرآن في ترقية نوع الإنسان»، فالإصلاح هو الهدف الأعلى المشترك لمقاصد القرآن والغاية النبيلة لنزوله وهو هداية البشر فكل مقصد يتناول جانبا من جوانب الإصلاح، ومما يحسب للشيخ (رحمه الله) أن هذا أول تقسيم لمقاصد القرآن بمعناه العام والخاص.

ثانيا: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١٨٧٩ - ١٩٧٣)

شيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، له مصنفات كثيرة، من أشهرها «مقاصد الشريعة الإسلامية»، و «أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، و«التحرير والتنوير» في تفسير القرآن[2].

قام العلامة المفسر ابن عاشور بتقسيم مقاصد القرآن إلي عدة أنواع، ذكرها في تفسيره «تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد؛ من تفسير الكتاب المجيد»،. ثم اختصره في هذا الاسم «التحرير والتنوير»، متحدثا عن مقاصد القرآن ضمن المقدمة الرابعة من مقدمات تفسيره، بشكل عام، قائلا: «إن القرآن أنزله الله تعالى كتابا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم، قال الله تعالى: **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}** [النحل: ٨٩]؛ فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية»، ثم فصلها فحصرها في ثمانية مقاصد:

وتحت عنوان «المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها» وهي ثمانية أمور:

---

(١) تفسير المنار ١١/١٧٠ وما بعدها بتصرف.

(٢) الأعلام للزركلي ٦/١٧٤.

المقصد الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما، وقد أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى: **{فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ}** [هود: ١٠١].

المقصد الثاني: تهذيب الأخلاق قال تعالى: **{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}** [القلم: ٤] وفسرت عائشة رضي الله تعالى عنها لما سئلت عن خلقه (ﷺ) فقالت: «كان خلقه القرآن»(١).

المقصد الثالث: التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة. قال تعالى: **{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا}** [النساء: ١٠٥] وقال تعالي: **{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ}** [المائدة: ٤٨] ولقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعا كليا في الغالب، وجزئيا في المهم، فقوله: **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}** [النحل: ٨٩]) وقوله: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}** [المائدة: ٣] المراد بهما إكمال الكليات التي منها الأمر بالاستنباط والقياس. قال الشاطبي لأنه على اختصاره جامع والشريعة تمت بتمامه ولا يكون جامعا لتمام الدين إلا والمجموع فيه أمور كلية.

المقصد الرابع: سياسة الأمة وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها كالإرشاد إلى تكوين الجامعة بقوله: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة للطباعة، مصر ٩١/٦.

فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا} [آل عمران: ١٠٣] وقوله: **{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ}** [الأنعام: ١٥٩].

المقصد الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم قال تعالي: **{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ}** [يوسف: ٣] وقال: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}** [الأنعام: ٩٠] وللتحذير من مساويهم قال: **{وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ}** [إبراهيم: ٤٥] وفي خلالها تعليم.

المقصد السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من أهل الكتاب. وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال في أفانين مجادلاته للضالين وفي دعوته إلى النظر، ثم نوه بشأن الحكمة فقال: **{يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}** [البقرة: ٢٦٩] وهذا أوسع باب انبجست منه عيون المعارف، وانفتحت به عيون الأميين إلى العلم.

المقصد السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب.

المقصد الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول؛ إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي، والقرآن جمع كونه معجزة بلفظه ومتحدي لأجله بمعناه والتحدي وقع فيه **{قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ}** [سورة يونس: آية ٣٨].

فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتمِّ بيان يحتمله المعنى ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد

القرآن: {**قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ**} {سورة يونس: آية٣٨}، والمفسر في ذلك أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله(١) .

ويقول في موضع آخر: "على أنّ من مقاصد القرآن أمرين آخرين

أحدَهما: كونه شريعة دائمة، وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لِمختلِف استنباط المستنبطين، حتى تؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين، وثانيهما تعويد حَمَلة هذه الشريعة، وعلماء هذه الأمة، بالتنقيب، والبحث، واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة، حتى تكون طبقات علماء الأمة صالحة في كلّ زمان لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع، فيكونوا قادرين على استنباط الأحكام التشريعية، ولو صيغ لهم التشريع في أسلوب سهل التناول لاعتادوا العكوف على ما بينَ أنظارهم في المطالعة الواحدة. من أجل هذا كانت صلوحية عباراته لاختلاف منازع المجتهدين، قائمة مقام تلاحق المؤلّفين في تدوين كتب العلوم، تبعاً لاختلاف مراتب العصور"(٢).

ويتبين لنا بعد هذا العرض أن الشيخ الطاهر بن عاشور أبرز في تفسيره اتجاها مقاصديا، ظاهر الأثر، واضح المعالم، من خلال مقدمته وأثناء تفسيره للآيات، ونستطيع القول: بأن الشيخ الطاهر ابن عاشور يمثل تفسيره التفسير المقاصدي للقرآن.

وهذا الاهتمام بمقاصد القرآن الكريم يترجم عناية العلماء بضبط عملية الفهم والبيان للقرآن الكريم استرشادا بمقاصده العامة والخاصة، وكانت تلك أهم فوائد حصر مقاصد القرآن الكريم غير أن هناك كثيرا من المقاصد القرآنية تتجلي للمفسر عند تفسيره لآيات الكتاب.

---

(١) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م، ص ٤٠ وما بعدها بتصرف.

(٢) السابق ١٥٨/٣.

المبحث الثالث
أهمية التفسير المقاصدي ومقوماته

لمعرفة مقاصد القرآن أهمية كبيرة في التفسير؛ لأن توجيه المعنى أو الترجيح بين الدلالات المختلفة، أو استنباط الأحكام، أو الفهم العام للنص يعتمد علي الإلمام بالمقاصد العامة من قبل المفسر، وقد أدرك كثير من العلماء هذه الحقيقة وبيان أهميته بالنسبة للمفسر.

المطلب الأول
أهمية التفسير المقاصدي

(١) معرفة مقاصد القرآن الكريم هي المدخل السليم إلي فهم الرسالة القرآنية علي الوجه الصحيح، بلا زيادة ولا نقصان، فمقاصد القرآن إنما هي ما نص عليه القرآن، وما نزل لأجله القرآن، وما استخلص من جُملة من معانيه وأحكامه.

(٢) معرفة هذه المقاصد واستحضارها عند قراءة القرآن وتدبره تمكِّنُ قارئه من الفهم السليم للمعاني التفصيلية والمقاصد الخاصة لأمثاله وقصصه ووعده ووعيده ولكل آية وكل حكم ورد فيه.

(٣) بمعرفة مقاصد القرآن ينفتح الطريق لفهم مقاصد السنة النبوية جملة وتفصيلا.

(٤) مقاصد القرآن هي الميزان والمعيار الذي يجب أن نزن به أعمالنا الفردية والجماعية، وحياتنا الخاصة والعامة، فكل عمل قلبي أو أخلاقي أيًّا كان نوعه اقتصاديا، عسكريا، سياسيا لا يهتدي إلا بمقاصد القرآن، مثل مقصد إقامة العدل، فهذا المقصد الكبير معيار نزن به مواقفنا الشخصية وعقودنا المالية كما

نزن به القضاء العادل، وكذلك الزواج مقصده في القرآن أن يكون سكينة ورحمة فكل زواج إسلامي يوزن بمدي تحقيقه هذه السكينة والرحمة.

(٥) مقاصد القرآن هي الميزان والمعيار الذي لابد منه للمفسرين في مناهجم وتفسيراتهم وبذلك يضمن المفسر لنفسه وتفسيره أن تكون اهتمامه واستنباطه في نطاق مقاصد القرآن بلا زيادة ولا نقصان، ويمكن تسميته"تفسير القرآن في ضوء مقاصده"(١).

هذه هي الفائدة العلمية الأهم والأوسع أثرا؛ وهي التي تعصم المفسرين من الانجرار وراء أمور لا مكان لها في مقاصد الكتاب الحكيم لأن المفسر إذا استقام منهجه في تفسيره جاء كلامه منضبطا بعيدا عن الحشو والتطويل الذي ربما يفقد بريق المعني ويخبو ضوء العبارة لذا نجد عبارات المفسرين ناطقة ومعبرة عن ذلك الحال يقول الشيخ رشيد رضا ناعيا من ينقل الضعيف في تفسيره بالمأثور مما يشغل الأذهان ويحجب تدبر مقاصد القرآن:

«وَغَرَضُنَا مِنْ هَذَا كُلِّهِ أَنَّ أَكْثَرَ مَا رُوِيَ فِي التَّفْسِيرِ الْمَأْثُورِ أَوْ كَثِيرِهِ حِجَابٌ عَلَى الْقُرْآنِ وَشَاغِلٌ لِتَالِيهِ عَنْ مَقَاصِدِهِ الْعَالِيَةِ الْمُزَكِّيَةِ لِلْأَنْفُسِ، الْمُنَوِّرَةِ لِلْعُقُولِ، فَالْمُفَضِّلُونَ لِلتَّفْسِيرِ الْمَأْثُورِ لَهُمْ شَاغِلٌ عَنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَاتِ، الَّتِي لَا قِيمَةَ لَهَا سَنَدًا وَلَا مَوْضُوعًا فَكَانَتِ الْحَاجَةُ شَدِيدَةً إِلَى تَفْسِيرٍ تَتَوَجَّهُ الْعِنَايَةُ الْأُولَى فِيهِ إِلَى هِدَايَةِ الْقُرْآنِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَتَّفِقُ مَعَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ الْمُنَزَّلَةِ فِي وَصْفِهِ، وَمَا أَنْزَلَ لِأَجْلِهِ مِنَ الْإِنْذَارِ وَالتَّبْشِيرِ وَالْهِدَايَةِ وَالْإِصْلَاحِ».(٢)

(١) مقاصد المقاصد، د/أحمد الريسوني، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت لبنان، ص ٢٨.

(٢) تفسير المنار ١٠/١.

(١) الوقوف علي حكمة الله في شرائعه هي دعوة من الله إلي التدبر والتأمل قال تعالي: {**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**} [محمد: ٢٤] وهذا هو المنهج القرآني والدستور النبوي.

وفي قصة موسي والخضر – عليهما الصلاة والسلام – كما وردت في سورة الكهف ما يفيد أن درجة الرشد والكمال في الدين إنما تحصل بفهم مقاصد الأحكام وأسرارها ومراميها، وقد كان الخضر أعلم وأمكن من موسي في هذا الباب. فموسي كان أدري بالأحكام، والخضر كان أدري بالحِكَم، ولذلك سأل موسي الخضر أن يعلمه ويزيده تبصرا ورشدا، قال تعالي: {**فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**} [الكهف: ٦٤ – ٦٦] فالرشد والعلم هنا إنما يتعلقان بمعرفة المقاصد والحِكم، كما يظهر ذلك جليا في الدروس التطبيقية التي قدمها الخضر لموسي.

والحاصل أن معرفة المقاصد والتأمل فيها وتحصيل مكنوناتها، يعطي درجة أقوي من الإيمان بالله وبحكمته، ودرجة أعلي من التفقه في شريعته، لأن فهم الأسرار يوجب زيادة الأنوار، ويشرح الصدور بما كتب في السطور.

قال العلامة المناوي: «فإذا عبد الله بما أمر ونهى بعد أن فهم أسرار الشريعة وانكشف له الغطاء عن تدبيره فيما أمر ونهى انشرح صدره وكان أشد تسارعا إلى فعل المأمور وتجنب المنهي لأن القلب وإن أطاع وانقاد لأمر الله تعالى فالنفس إنما تنشط وتنقاد إذا رأت نفع شيء أو ضره وأما من فهم تدبير الله تعالى في ذلك فينشرح صدره ويخف عليه فعله»[١].

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ، ٢٥٩/١.

المطلب الثاني
مقومات التفسير المقاصدي للقرآن الكريم

من المعلوم أن التفسير المقاصدي للقرآن تفسير شمولي وعام وهذا النوع لابد له من مقومات ينبغي توافرها فيمن يتعرض للقرآن الكريم مقاصديا من هذه المقومات:

أولا: فهم اللغة العربية وآدابها

جعل الله (ﷻ) اللغة العربية وسيلة لمن أراد أن يفهم كلامه، فقال الله تعالى: "**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا**" {سورة مريم، آية٩٧} وقال الله تعالى: {**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**} [الزخرف: ٣]" فمن لم يعرف اللغة العربية معرفة إتقان لم يستطع أن يعقل القرآن بنفسه، وفاته العلم بأحكامه وفهم حلاله وحرامه، ولما كانت معرفة هذه اللغة شرطا وضعه الله ليعقل المسلم كلامه، بنى العلماء على ذلك أن العلم باللغة العربية هو شرط من الشروط الأساسية في تفسير القرآن الكريم والسنة الشريفة.

ولما كان القرآن الكريم كلاما عربيا كانت اللغة العربية طريقا لفهم معانيه وبدون ذلك يقع الغلط، و سوء الفهم، وقصور في الإدراك لمن ليس عالما باللغة العربية.

والجدير بالذكر إننا نعنى باللغة العربية مجموع اللسان العربي، وهي متن اللغة، والتصريف، والنحو، والاشتقاق، والغريب، والإعراب، والمعاني، والبيان، والبديع[1] إلي غير ذلك من فروع العربية.

(١) ينظر الإتقان في علوم القرآن – في معرفة شروط المفسر وآدابه – لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٤/٢٠٠.

ومع هذه المكانة السامية للغة العربية، والمنزلة العالية لمعرفة أصولها، لا يجوز لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يكون اعتماده فيه على مجرد اللغة فقط، لأنه يؤدي إلى تعطيل كثير من المفاهيم الدينية، والمعاني الشرعية الثابتة بالقرآن، والسنة، وإجماع الأمة.

وجاء الإمام الشافعي (رحمه الله) ببيان أهمية معرفة اللغة العربية، و فرّق بين حاجة كل فرد مسلم إلى هذه المعرفة، وحاجة من يريد فهم القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة

ومعرفة حكم الله فيهما، فقال: «وإنما بدأت بما وصفتُ، من أن القُرآن نزل بلسان العرب دون غيره: لأنه لا يعلم مِن إيضاح جُمَل عِلْم الكتاب أحد، جهِل سَعَة لسان العرب، وكثرةَ وجوهه، وجِماعَ معانيه، وتفرقَها. ومن علِمه انتفَتْ عنه الشُّبَه التي دخلَتْ على من جهِل لسانَها»(١).

ويقول أيضا:(٢) «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله و أن محمداً عبده و رسوله، و يتلو به كتاب الله و ينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير و أمر به من التسبيح و التشهد و غير ذلك».

وذلك لأن هذه المذكورات عند الشافعي من فرائض الشريعة الإسلامية على كل مسلم ولا يمكن أداؤها إلا باللغة العربية، و كل شيء توقف عليه حصول الفرض صار فرضاً.

كل هذه الأقوال تدلل دلالة واضحة علي أهمية الاستيعاب الكامل للغة العربية بعلومها المتشعبة لمن أراد أن يفسر القرآن بألفاظه وحروفه أم بمقاصده

(١) الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر.
(٢) السابق ص ٤٨.

وأهدافه. وتمثل هذه العلوم«العلوم المكتسبة"الجانب النظري للتفسير المقاصدي، أما الجانب التطبيقي والسلوك العملي فيكون في تدبر القرآن والعمل به.

ثانيا: تدبر القرآن والعمل به:

لا بد لمن يريد التفسير المقاصدي للقرآن الكريم من الحضور الفاعل الحي المؤثر أثناء تلاوة القرآن وتدبره والتعامل معه، بكافة المشاعر والأحاسيس والانفعالات فعلى القارئ للقرآن أن يتلقاه بجميع مشاعره وأن يكون القرآن دليلاً عملياً لحياته في يومه ونهاره.. عليه أن يتلقاه بجميع أجهزة التلقي في جسمه وأن يربط بينها ويحولها إلى برنامج يومي وسلوك عملي، وأن يكون قدوته في ذلك رسول الله (ﷺ) كما تقول عائشة (رضي الله عنها): «كان خلقه القرآن»، وكذلك يقتدي بالصحابة (رضي الله عنهم) الذين يتلقون القرآن تلقيا للتنفيذ فور سماعه. فالتلاوة والتدبر والنظر، أدوات للتعامل والتأثر بالقرآن.

فالغاية حددها القرآن الكريم للمؤمن المتدبر.. قال تعالى: **{أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ}** [الزمر: ٢٢، ٢٣] إن الغاية المحددة هنا هي (الهدى) باعتبارها وردت خاتمة للآيتين اللتين تحددان كيفية التلاوة وتصفان أحوال الذين يقومون بها وتسجل مظاهر التاثر والتغير والانفعال عليهم، ثم تبين الثمرة لهذه التلاوة وتحدد الغاية منها وتدعو المؤمن إلى أن يلحظها ويسعى إلى تحقيقها.

وهناك آية أخرى تقرر غاية أخرى للتلاوة وهي قوله تعالى: **{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا}** [سورة الأنعام: آية ١٢٢].

الحياة العزيزة الكريمة التي تليق بالمؤمن وتبارك عمره وتعمر قلبه وتسمو روحه وتهدأ نفسه، الحياة التي لا بد أن يجعلها غاية له من تلاوته وثمرة له يجنيها من رحلته فيه ونتيجة عمله يحققها من تعامله مع القرآن. هذه غاية التلاوة وثمرة التعامل مع القرآن ونتيجة التدبر وكل ما سواها وسائل لتحقيقها، وقد تكون مشكلة المسلمين كلها اليوم في منهج الفهم الموصل إلى التدبر وكسر الأقفال من على العقول والقلوب، وتجديد الاستجابة، وتجديد وسيلتها، ليكونوا في مستوى القرآن، ومستوى العصر، ويحققوا الشهود الحضاري، ويتخلصوا من الحال التي استنكرها القرآن: {**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**} [محمد: ٢٤][(١)].

فالغاية من نزول القرآن التدبر قال تعالي: {**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**} [سورة ص: آية ٢٩].

قال الإمام القرطبي: "«فَالْوَاجِبُ عَلَى مَنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِحِفْظِ كِتَابِهِ أَنْ يَتْلُوَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَيَتَدَبَّرَ حَقَائِقَ عِبَارَتِهِ، وَيَتَفَهَّمَ عَجَائِبَهُ، وَيَتَبَيَّنَ غَرَائِبَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:"كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ". وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:"أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها". جَعَلَنَا اللَّهُ مِمَّنْ يَرْعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَيَتَدَبَّرُهُ حق تدبره، ويقوم بقسطه، ويفي بِشَرْطِهِ، وَلَا يَلْتَمِسُ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ، وَهَدَانَا لِأَعْلَامِهِ الظَّاهِرَةِ، وَأَحْكَامِهِ الْقَاطِعَةِ الْبَاهِرَةِ، وَجَمَعَ لَنَا بِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ"[(٢)].

فتدبر القرآن والعمل به مثل جناحي الطائر فبهما يحلق في فهم القرآن فيعلو فوق كل فكر ويسمو قدرا بعد قدر وإليه الإشارة بقوله تعالي: {**واتقوا الله**

(١) كيف نتعامل مع القرآن للشيخ محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ١٣ وما بعدها بتصرف

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/١.

وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ}.. [البقرة: ٢٨٢].. وبقوله (ﷺ): «مَن عمل بما علم أورَّثه اللهُ علم ما لم يعلم»[١].

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «إِنَّمَا قَصَّرَ بِنَا عَنْ عِلْمِ مَا جَهِلْنَا تَقْصِيرُنَا فِي الْعَمَلِ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَوْ عَمِلْنَا بِبَعْضِ مَا عَلِمْنَا لَأَوْرَثَنَا عِلْمًا لَا تَقُومُ بِهِ أَبْدَانُنَا»[٢].

(١) فيض القدير للمناوي ٥١١/٤.

(٢) تفسير القرطبي ٣٦٤/١٣.

المبحث الرابع
مقاصد القرآن في خلق الإنسان

إن الخطاب القرآني تمحور حول الإنسان نشأة ومصيرا، بداية ونهاية، تشريفا وتكليفا، ثواباً وعقاباً، حتي الحديث عن الكون وما فيه جاء مسخرا للإنسان لخدمته وطاعته بإذن الله، بداية من السماء التي فيها الشمس والقمر نهاية إلي الأرض التي فيها معاشه وإليها مماته.

فالإنسان مخلوق كريم على الله، فقد خلق آدم بيديه، ونفخ فيه من روحه، وجعله في الأرض خليفة، تكريماً للإنسان، إنّ الإنسان هو المقصودُ غايةً وهدفاً في ابتعاث الرسل، واختيار الأنبياء، وإنزال الكتب والصُّحف، وإنّ الله (ﷻ) الذي جعل آدمَ خليفةً في الأرض، اقتضت حكمته ومشيئته ورحمته بالإنسان ألاّ يخلقه عبثاً، وألاّ يتركه سدًى، وإنّما تكفّل بهدايته وإرشاده، وأخذ بيده إلى الطريق الأقوام، والمنهج الأمثل، وطمأنه منذ استقراره في الأرض أنه لن يسلمه للجهالة والحيرة والضياع، وإنما أكرمه بالهداية والرشاد بالتي هي أقوم، وهكذا توالت الرسلُ، وتتابع الأنبياء، وأُنزلت الكتب، وكلّها تدور على محور واحدٍ، هو الإنسان، بما يحقق له السعادة في الدنيا والآخرة، وجاءت الشرائع لتأمينِ مصالح الناس بجلب النفع لهم، ودفع المضارّ عنهم، فترشدهم إلى الخير، وتهديهم إلى سواء السبيل، وتدلّهم على البر، وتأخذ بيدهم إلى الهدى القويم، وتكشفُ لهم طريق الخير، وتحذّرهم من الغواية والشرّ، ويظهر التكريمُ الإلهيُّ للإنسان في كثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالي: {**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا**} [الإسراء: ٧٠].

فالإنسان لا يستطيع الإنسان أن يعلم الغاية من وجوده إلّا بتعرّفه على أمرين رئيسين؛ هما: معرفة الإنسان لحقيقته، ومعرفة الغاية من خلقه، وبذلك تتغيّر نظرة الإنسان للحياة، والمنهج الذي يسير عليه؛ فالإنسان مخلوقٌ مميّزٌ عن باقي مخلوقات الله تعالى فالله تعالى خَلق الإنسان بيده، وأسجد الملائكة له، وبعث إليه الرسل مؤيدين بالكتب منه، ومن الجدير بالذكر أنّ الإنسان خُلِق للقيام بمهمة عبادة الله تعالى وحده.

وعلي ذلك فإن لله حكمة في خلق ذلك الإنسان الذي تحمل الأمانة وقبل المسئولية ولم يقبلها أحد في الكون من السماوات والأرض والجبال رغم قوتهم القاهرة بقوة الله وقبلها المخلوق الضعيف وهو الإنسان الجهول، وقد بين لنا القرآن الكريم أهم المقاصد والغايات من خلق الإنسان، **وهي الخلافة، والعبادة، والعمارة.**

المطلب الأول
الخلافة

أولا الخلافة:

قال تعالي: {**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**} [البقرة: ٣٠].

يقول الأصفهاني في حكمة الخلافة: «الاقتداء بالباري سبحانه على قدر طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم الشريعة، ومكارم الشريعة هي الحكمة، والقيام بالعدالة بين الناس، والحلم، والإحسان، والفضل، والقصد منها أن تبلغ إلى جنة المأوى، وجوار رب العزة تعالى»(١).

الخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه قال الله تعالى: {**ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**} [يونس: ١٤] وقال سبحانه: {**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ**} [الأعراف: ٦٩].

والمراد بالخليفة في قوله جلّ شأنه: {**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**} [البقرة: ٣٠] ففيه قولان:

أحدهما: أنه آدم (عليه السلام) وقوله أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا المراد ذريته لا هو.

الثاني: أنه ولد آدم أما الذين قالوا المراد آدم (عليه السلام) فقد اختلفوا في أنه تعالى لمَ سماه خليفة؟ وذكروا فيه وجهين:

الأول: بأنه تعالى لما نفي الجن من الأرض وأسكن آدم الأرض كان آدم (عليه السلام) خليفة لأولئك الجن الذين تقدموه يروى ذلك عن ابن عباس.

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام – القاهرة، ٢٠٠٧م.

الثاني: إنما سماه الله خليفة لأنه يخلف الله في الحكم بين المكلفين من خلقه وهو المروي عن ابن مسعود وابن عباس والسدي وهذا الرأي متأكد بقوله سبحانه: {**إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه**} [ص: ٢٦] أما الذين قالوا المراد ولد آدم فقالوا إنما سماهم خليفة لأنهم يخلف بعضهم بعضاً وهو قول الحسن ويؤكده قوله وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأرْضِ والخليفة اسم يصلح للواحد والجمع كما يصلح للذكر والأنثى(١).

وَلَكِنْ مَا مَعْنَى هَذِهِ الْخِلَافَةِ، وَمَا الْمُرَادُ مِنْ هَذَا الاسْتِخْلَافِ، هَلْ هُوَ اسْتِخْلَافُ بَعْضِ الْإِنْسَانِ عَلَى بَعْضٍ، أَمِ اسْتِخْلَافُ الْبَعْضِ عَلَى غَيْرِهِ؟. قال الشيخ رشيد رضا:

«جَرَتْ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ بِأَنْ تُعَلَّمَ أَحْكَامُهُ لِلنَّاسِ وَتُنَفَّذَ فِيهِمْ عَلَى أَلْسِنَةِ أُنَاسٍ مِنْهُمْ يَصْطَفِيهِمْ لِيَكُونُوا خُلَفَاءَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ، وَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ أَظْهَرَ أَحْكَامَ اللهِ وَسُنَنَهُ الْوَضْعِيَّةَ (أَيِ الشَّرْعِيَّةِ؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ وَضْعٌ إِلَهِيٌّ) كَذَلِكَ أَظْهَرَ حِكَمَهُ وَسُنَنَهُ الْخَلْقِيَّةَ الطَّبِيعِيَّةَ، فَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْخِلَافَةِ عَامًّا فِي كُلِّ مَا مَيَّزَ اللهُ بِهِ الْإِنْسَانَ عَلَى سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ، نَطَقَ الْوَحْيُ وَدَلَّ الْعِيَانُ وَالِاخْتِيَارُ عَلَى أَنَّ اللهَ – تَعَالَى – خَلَقَ الْعَالَمَ أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً، وَخَصَّ كُلَّ نَوْعٍ غَيْرَ نَوْعِ الْإِنْسَانِ بِشَيْءٍ مَحْدُودٍ مُعَيَّنٍ لَا يَتَعَدَّاهُ. فَأَمَّا مَا لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ كَالْمَلَائِكَةِ فَقَدْ وَرَدَ فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ وَظَائِفَهُ مَحْدُودَةٌ. قَالَ – تَعَالَى – {**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ**} [الأنبياء: ٢٠] وَأَمَّا مَا نَعْرِفُهُ بِالنَّظَرِ وَالِاخْتِبَارِ فَهُوَ حَالُ الْمَعْدِنِ وَالْجَمَادِ وَلَا عِلْمَ لَهُ وَلَا عَمَلَ. وَحَالُ النَّبَاتِ وَإِنَّمَا تَأْثِيرُ حَيَاتِهِ فِي نَفْسِهِ، فَلَوْ فُرِضَ أَنَّ لَهُ عِلْمًا وَإِرَادَةً فَهُمَا لَا أَثَرَ لَهُمَا فِي جَعْلِ عَمَلِ النَّبَاتِ مُبَيِّنًا لِحُكْمِ اللهِ وَسُنَنِهِ فِي الْخَلْقِ، وَلَا وَسِيلَةَ لِبَيَانِ أَحْكَامِهِ وَتَنْفِيذِهَا،

(١) تفسير الرازي ١٥٢/٢.

فَكُلُّ حَيٍّ مِنَ الْأَحْيَاءِ الْمَحْسُوسَةِ وَالْغَيْبِيَّةِ فَإِنَّ لَهُ اسْتِعْدَادًا مَحْدُودًا، وَعِلْمًا إِلْهَامِيًّا مَحْدُودًا، وَعَمَلًا مَحْدُودًا، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ خَلِيفَةً عَنِ الَّذِي لَا حَدَّ لِعِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَلَا حَصْرَ لِأَحْكَامِهِ وَسُنَنِهِ، وَلَا نِهَايَةَ لِأَعْمَالِهِ وَتَصَرُّفِهِ.»

وَأَمَّا الْإِنْسَانُ فَقَدْ خَلَقَهُ اللهُ ضَعِيفًا. كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ: **{وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}** [النساء: ٢٨] وَخَلَقَهُ غير عالم كَمَا قَالَ – تَعَالَى –: **{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا}** [النحل: ٧٨] وَلَكِنَّهُ عَلَى ضَعْفِهِ وانعدام علمه عِبْرَةٌ لِمَنْ يَعْتَبِرُ، وَمَوْضِعٌ لِعَجَبِ الْمُتَعَجِّبِ؛ لِأَنَّهُ مَعَ ضَعْفِهِ يَتَصَرَّفُ فِي الْأَقْوِيَاءِ، وَمَعَ عدم علمه من بداية نَشْأَتِهِ يَعْلَمُ جَمِيعَ الْأَسْمَاءِ، وَيُعْطَى قُوَّةً أُخْرَى تَتَصَرَّفُ بِشُعُورِهِ وَإِحْسَاسِهِ تَصَرُّفًا يَكُونُ لَهُ بِهِ السُّلْطَانُ عَلَى هَذِهِ الْكَائِنَاتِ، فَيُسَخِّرُهَا وَيُذَلِّلُهَا بَعْدَ ذَلِكَ كَمَا تَشَاءُ تِلْكَ الْقُوَّةُ الْغَرِيبَةُ وَهِيَ الَّتِي يُسَمُّونَهَ الْعَقْلَ، وَلَا يَعْقِلُونَ سِرَّهَا، وَلَا يُدْرِكُونَ حَقِيقَتَهَا وَكُنْهَهَا، فَهِيَ الَّتِي تُغْنِي الْإِنْسَانَ عَنْ كُلِّ مَا وُهِبَ لِلْحَيَوَانِ فِي أَصْلِ الْفِطْرَةِ مِنَ الْكِسَاءِ الَّذِي يَقِيهِ الْبَرْدَ وَالْحَرَّ، حَتَّى كَانَ لَهُ بِهَا مِنَ الِاخْتِرَاعَاتِ الْعَجِيبَةِ مَا كَانَ، وَسَيَكُونُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ التَّقْدِيرُ وَالْحُسْبَانُ.

فَالْإِنْسَانُ بِهَذِهِ الْقُوَّةِ غَيْرُ مَحْدُودِ الِاسْتِعْدَادِ وَلَا مَحْدُودِ الرَّغَائِبِ وَلَا مَحْدُودِ الْعِلْمِ وَلَا مَحْدُودِ الْعَمَلِ، فَهُوَ عَلَى ضَعْفِ أَفْرَادِهِ يَتَصَرَّفُ بِمَجْمُوعِهِ فِي الْكَوْنِ تَصَرُّفًا لَا حَدَّ لَهُ بِإِذْنِ اللهِ وَتَصْرِيفِهِ، وَكَمَا أَعْطَاهُ اللهُ – تَعَالَى – هَذِهِ الْمَوَاهِبَ وَالْأَحْكَامَ الطَّبِيعِيَّةَ لِيُظْهِرَ بِهَا أَسْرَارَ خَلِيقَتِهِ، وَمَلَّكَهُ الْأَرْضَ وَسَخَّرَ لَهُ عَوَالِمَهَا، أَعْطَاهُ أَحْكَامًا وَشَرَائِعَ، حَدَّ فِيهَا لِأَعْمَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ حَدًّا يَحُولُ دُونَ بَغْيِ أَفْرَادِهِ وَطَوَائِفِهِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، فَهِيَ تُسَاعِدُهُ عَلَى بُلُوغِ كَمَالِهِ؛ لِأَنَّهَا مُرْشِدٌ وَمُرَبٍّ لِلْعَقْلِ الَّذِي كَانَ لَهُ تِلْكَ الْمَزَايَا؛ فَلِهَذَا كُلِّهِ جَعَلَهُ خَلِيفَتَهُ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ أَخْلَقُ الْمَخْلُوقَاتِ بِهَذِهِ الْخِلَافَةِ(١).

(١) تفسير المنار ٣١٥/١ وما بعدها بتصرف.

أَلَيْسَ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى، أَنَّ جَعْلَ الْإِنْسَانَ بِهَذِهِ الْمَوَاهِبِ خَلِيفَتَهُ فِي الْأَرْضِ، يُقِيمُ سُنَنَهُ، وَيُظْهِرُ عَجَائِبَ صُنْعِهِ، وَأَسْرَارَ خَلِيقَتِهِ، وَبَدَائِعَ حِكَمِهِ، وَمَنَافِعَ أَحْكَامِهِ، وَلَم توُجدَ آيَةٌ تدل عَلَى كَمَالِ اللهِ – تَعَالَى – وَسِعَةِ عِلْمِهِ أَظْهَرُ مِنْ هَذَا الْإِنْسَانِ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ؟

فَهُوَ عَلَى سِعَةِ عِلْمِهِ لَمْ يُؤْتَ مِنَ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ إِلَّا قَلِيلًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ أَوْسَعُ مَظَاهِرِ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ، وَلِذَلِكَ أَجَابَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ بِالْعِلْمِ **(قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)** فَأَثْبَتَ لِذَاتِهِ الْعِلْمَ بِحِكْمَةِ هَذِهِ الْخِلَافَةِ وَنَفَاهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ أَظْهَرَ لَهُمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَكُونُ خَلِيفَةً بِالْعِلْمِ وَمَا يَتْبَعُهُ فَقَالَ سبحانه: **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}** [البقرة: ٣٠ – ٣٣]:

فعِلْمَ الْمَلَائِكَةِ وَعَمَلَهُمْ مَحْدُودَانِ، وَأَنَّ عِلْمَ الْإِنْسَانِ وَعَمَلَهُ غَيْرُ مَحْدُودَيْنِ، وَبِهَذِهِ الْخَاصَّةِ الَّتِي فَطَرَ اللهُ النَّاسَ عَلَيْهَا كَانَ الْإِنْسَانُ أَجْدَرَ بِالْخِلَافَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهَذِهِ هِيَ حُجَّةُ اللهِ الْبَالِغَةُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الَّتِي بَيَّنَهَا لَهُمْ بَعْدَ مَا نَبَّهَهُمْ إِلَى عِلْمِهِ الْمُحِيطِ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ(١).

وَالْمُرَادُ مِنَ الْخَلِيفَةِ هُنَا إِمَّا الْمَعْنَى الْمَجَازِيُّ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى عَمَلًا يُرِيدُهُ الْمُسْتَخْلَفُ مِثْلَ الْوَكِيلِ وَالْوَصِيِّ، أَيْ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ مُدَبِّرًا يَعْمَلُ مَا نُرِيدُهُ فِي الْأَرْضِ فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ أَوْ مَجَازٌ مُرْسَلٌ وَلَيْسَ بِحَقِيقَةٍ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ حَالًّا

(١) تفسير المنار ٣١٨/١.

فِي الْأَرْضِ وَلَا عَامِلًا فِيهَا الْعَمَلَ الَّذِي أَوْدَعَهُ فِي الْإِنْسَانِ وَهُوَ السَّلْطَنَةُ عَلَى مَوْجُودَاتِ الْأَرْضِ، وَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَتْرُكْ عَمَلًا كَانَ يَعْمَلُهُ فَوَكَلَهُ إِلَى الْإِنْسَانِ بَلِ التَّدْبِيرُ الْأَعْظَمُ لَمْ يَزَلْ لِلَّهِ تَعَالَى فَالْإِنْسَانُ هُوَ الْمَوْجُودُ الْوَحِيدُ الَّذِي اسْتَطَاعَ بِمَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِي خِلْقَتِهِ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي مَخْلُوقَاتِ الْأَرْضِ بِوُجُوهٍ عَظِيمَةٍ لَا تَنْتَهِي خِلَافَ غَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ فَإِنَّ تَعْقِيبَ ذِكْرِ خَلْقِ الْأَرْضِ ثُمَّ السَّمَاوَاتِ بِذِكْرِ إِرَادَتِهِ تَعَالَى جَعْلَ الْخَلِيفَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ جَعْلَ الْخَلِيفَةِ كَانَ أَوَّلَ الْأَحْوَالِ عَلَى الْأَرْضِ بَعْدَ خَلْقِهَا فَالْخَلِيفَةُ هُنَا الَّذِي يَخْلُفُ صَاحِبَ الشَّيْءِ فِي التَّصَرُّفِ فِي مَمْلُوكَاتِهِ وَلَا يَلْزَمُ أَن يكون المخلوف مُسْتَقِرًّا فِي الْمَكَانِ مِنْ قَبْلُ، فَالْخَلِيفَةُ آدَمُ وَخَلَفِيَّتُهُ قِيَامُهُ بِتَنْفِيذِ مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تَعْمِيرِ الْأَرْضِ بِالْإِلْهَامِ أَوْ بِالْوَحْيِ وَتَلْقِينِ ذُرِّيَّتِهِ مُرَادَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ، وَمِمَّا يَشْمَلُهُ هَذَا التَّصَرُّفُ تَصَرُّفُ آدَمَ بِسَنِّ النِّظَامِ لِأَهْلِهِ وَأَهَالِيهِمْ عَلَى حَسَبِ وَفْرَةِ عَدَدِهِمْ وَاتِّسَاعِ تَصَرُّفَاتِهِمْ، فَكَانَتِ الْآيَةُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ إِيمَاءً إِلَى حَاجَةِ الْبَشَرِ إِلَى إِقَامَةِ خَلِيفَةٍ لِتَنْفِيذِ الْفَصْلِ بَيْنَ النَّاسِ فِي مُنَازَعَاتِهِمْ إِذْ لَا يَسْتَقِيمُ نِظَامٌ يَجْمَعُ الْبَشَرَ بِدُونِ ذَلِكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ الرُّسُلَ وَبَيَّنَ الشَّرَائِعَ فَرُبَّمَا اجْتَمَعَتِ الرِّسَالَةُ وَالْخِلَافَةُ وَرُبَّمَا انْفَصَلَتَا بِحَسَبِ مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ شَرَائِعِهِ إِلَى أَنْ جَاءَ الْإِسْلَامُ فَجَمَعَ الرِّسَالَةَ وَالْخِلَافَةَ لِأَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ غَايَةُ مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الشَّرَائِعِ وَهُوَ الشَّرِيعَةُ الْخَاتِمَةُ وَلِأَنَّ امْتِزَاجَ الدِّينِ وَالْمُلْكِ هُوَ أَكْمَلُ مَظَاهِرِ الْخُطَّتَيْنِ قَالَ تَعَالَى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ}** [النساء: ٦٤]

وَلِهَذَا أَجْمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيءِ (ﷺ) عَلَى إِقَامَةِ الْخَلِيفَةِ لِحِفْظِ نِظَامِ الْأُمَّةِ وَتَنْفِيذِ الشَّرِيعَةِ(١).

(١) التحرير والتنوير: ٣٩٨/١.

دلت هذه الآيات على تكريم الإنسان الذي جعله الله خليفة في هذه الأرض في تنفيذ أوامره بين الناس، ويؤيده قوله تعالى: **{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ}** [ص: ٢٦] والحكمة من جعل آدم خليفة هي الرحمة بالناس، إذ لا طاقة للعباد على تلقي الأوامر والنواهي من الله بلا واسطة، فكان من رحمته تعالى إرسال الرسل من البشر، لذا جاء التصريح باقتران الخلافة بالخلق قرينة علي أنها وجه من وجوه الحكمة من خلق آدم (عليه السلام) خصوصا والإنسان عموما.

وَقَدْ عَلَّلَ -سبحانه- هَذَا الاسْتِخْلَافَ في قوله -جل شأنه- **{ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}** [يونس: ١٤] أَيْ لِنَرَى وَنُشَاهِدَ أَيَّ عَمَلٍ تَعْمَلُونَ فِي خِلَافَتِكُمْ، فَنُجَازِيَكُمْ بِهِ بِمُقْتَضَى سُنَّتِنَا فِيمَنْ قَبْلَكُمْ، فَإِنَّ هَذِهِ الْخِلَافَةَ إِنَّمَا جَعَلَهَا لَكُمْ لِإِقَامَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِي الْأَرْضِ وَتَطْهِيرِهَا مِنْ رِجْسِ الشِّرْكِ وَالْفِسْقِ، لَا لِمُجَرَّدِ التَّمَتُّعِ بِلَذَّةِ الْمُلْكِ[١].

وخلافة الإنسان في الأرض علي درجتين: عامة وخاصة. فالعامة: هي التي تشمل آدم وذريته من بعده، فكل فرد مكلف بها، ومسؤول عن أداء ما استخلفه الله واسترعاه كما قال تعالي: **{ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}** [يونس: ١٤] اسْتَخْلَفَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مَنْ بَعْدِهِمْ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا لِيَنْظُرَ طَاعَتَهُمْ لَهُ، وَاتِّبَاعَهُمْ رَسُولَهُ[٢]، وفي صحيح مسلم: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها فناظر كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فتنة بني إسرائيل كانت من النساء"[٣]. والمراد بالخلافة العامة

(١) تفسير المنار: ٢٥٩/١.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٣١/٤.

(٣) صحيح مسلم حديث رقم ٧٠٤٨، ٨٩/٨.

هي المسؤولية التي قال عنها النَّبِيِّ (ﷺ): أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.(١)

وأما الخاصة: فهي الخلافة التي عرفها ابن خلدون: "«والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»(٢).

وفي خلافة الإنسان تشريف وتكليف، فأما التشريف فلا شك أن مرتبة الخلافة أعلي المراتب عند الله تعالي لأنه قائم علي شرعه، قيما علي دينه، حارسا لحدوده، وللخليفة علو المنزلة والشرف والكرم والتفضيل والتسخير له ما في باطن الأرض وظاهرها لذا امتن الله بها «الخلافة» بمفهومها الواسع الشامل علي الإنسان، وأما التكليف فإن معني الخلافة يقتضي المسؤولية المطلقة بالالتزام بأوامر المستخلِف ونواهيه، والدخول في طاعته سرا وجهرا فصلاح الراعي صلاح للرعية وبتحقيق معنى الخلافة الحق يتحقق المقصد الثاني من خلق الإنسان وهو العبودية.

(١) صحيح مسلم حديث رقم ٤٧٥١، ٦/٧.

(٢) مقدمة ابن خلدون: ٩٤.

المطلب الثاني
العبادة

ثانيا العبادة:

العبادة سبب وهدف وغاية لخلق الإنسان؛ خلق الله الإنسان وسخّر له كلّ ما في الكون للمهمة العظيمة المتجلية بقوله تعالى: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**} [الذاريات: ٥٦] إذاً خلقنا البارئ جلّ في علاه لعبادته وحده لا شريك له وفي ذلك تكريمٌ للإنسان؛ فأي شرف أكبر وأعظم للإنسان من أن يكون عبداً لرب الأرباب يعبده ويطيعه ويذكره ويشكره على نعمه.

وقد عرفها الأصفهاني بقوله: «العبادة: فعلٌ اختياريٌ للشهوات البدنية، تصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى طاعةً للشريعة». فقولنا (فعلُ اختياريٌ) يخرج منه الفعل التسخيري والقهري. وبقولنا (مناف للشهوات البدنية) ليخرج منه ما ليس بطاعة، وأما الأفعال المباحة كالأكل والشرب ومجامعة المرأة فليس بعبادة من حيث أنها شهوة ولكنها قد تكون عبادة إذا صدرت عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى، وإنما قيل (طاعة للشريعة) لأن من أنشأ من نفسه فعلا ليس بسائغ في الشريعة لم يكن عبادة وإن قصد به التقرب إلى الله تعالى، فالعبادة إذاً فعل يجمع هذه الأوصاف كلها[١].

قال الفيروز أبادي: «العبادة: الطاعة، وهي أبلغ من العبودية، لأنها غاية التذلل، لا يستحقها الا من له غاية الافضال، وهو الله تعالى.، وقد ورد العبد والعبادة في القرآن على ثلاثين وجهاً»[٢].

---

(١) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، للراغب الأصفهاني، دار الحياة بيروت: ص ٨٥.

(٢) بصائر ذوي التمييز لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين الفيروزآبادى، تحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط ١٩٩٦م، ٩/٤.

فالعبادة طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلي سعادة أبدية[1] فالعبادة ليست مجرد شعائر تؤدي، ولكنها إقبال علي الله بحب وهذا الحب بمثابة الوقود الذي يحرك الإنسان ويدفعه إليها، ولابد أيضا من دليل ومرشد – يحدد له الاتجاه الصحيح وينير له الطريق؛ فلا يتعثر ولا يتلقفه هواه أو يزله الشيطان – وهي معرفة صفات – جلاله وجماله – وهذه الطاعة وتلك المحبة المسبوقة بالمعرفة نتيجة مؤكدة إلي سعادة الدارين.

والعبادة: علم وعمل وعلي ذلك تشمل منهجين:

المنهج النظري: وهو العلم أو المعرفة بالله.

المنهج التطبيقي: وهو العمل، فالعلم هو البُصلة التي توجه العمل فيكون الاتجاه صحيحاً خالصا لله رب العالمين وهو المفهوم من قوله تعالي: **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ}** [البينة: ٥] ليس هناك من هدف إلا تحقيق معنى «العبادة» في حياة الإنسان – التي يحدد القرآن أنها هي غاية الوجود الإنساني – إلا حين يتم وفق المنهج الرباني فيتم بذلك إفراد اللّه –سبحانه– بالألوهية والاعتراف له وحده بالعبودية. وحينما بلغ المسلمون الأوائل تحقيق معناها، وإرساء مبناها، صنع اللّه بهم في الأرض أدوارا عميقة الآثار في كيان الوجود و التاريخ الإنساني فكانوا بحق جند الله الغالبون.

يقول الشيخ الشعراوي (رحمه الله): «والله (ﷻ) خلقنا في الحياة لنعبده.. مصداقا لقوله (ﷻ): **{وَمَا خَلَقْتُ الجن والإنس إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}** [الذاريات: ٥٦] إذن فعلّة الخلق هي العبادة.. ولقد تم الخلق لتتحقق العبادة وتصبح واقعا.. ولكن «العلة والمعلول» لا تنطبق على أفعال الله (ﷻ).. نقول ليس هناك علة تعود على الله جل جلاله بالفائدة. لأن الله (ﷻ) غني عن العالمين.. ولكن العلة تعود

(١) مقومات التكليف، د/راتب النابلسي ص ٢٥

على الخلق بالفائدة.. فالله (ﷻ) خلقنا لنعبده. ولكن علة الخلق ليس لأن هذه العبادة ستزيد شيئا في ملكه.. وإنما عبادتنا تعود علينا نحن بالخير في الدنيا والآخرة لأن أفعال الله لا تعلل، والمأمور بالعبادة هو الذي سينتفع بها.

فإذا كنت تحب الله فأنت تأتيه عن اختيار. تتنازل عما يغضبه حبا فيه، وتفعل ما يطلبه حبا فيه وليس قهرا؛ فاذا تخليت عن اختيارك الى مرادات الله في منهجه.. تكون قد حققت عبادة المحبوبية لله (ﷻ). وتكون قد أصبحت من عباد الله وليس من عبيد الله. فكلنا عبيد لله (ﷻ)، والعبيد متساوون فيما يقهرون عليه. ولكن العباد الذين يتنازلون عن منطقة الاختيار لمراد الله في التكليف. ولذلك فإن الحق جل جلاله. يفرق في القرآن الكريم بين العباد والعبيد. يقول تعالى: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الداع إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}** [البقرة: ١٨٦] ويقول (ﷻ): **{وَعِبَادُ الرحمن الذين يَمْشُونَ على الأرض هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً والذين يَقُولُونَ رَبَّنَا اصرف عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً}** [الفرقان: ٦٣ – ٦٥] وهكذا نرى أن الله (ﷻ) أعطى أوصاف المؤمنين وسماهم عبادا. ولكن عندما يتحدث عن البشر جميعا يقول عبيد. مصداقا لقوله تعالى: **{ذلك بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ الله لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ}** [آل عمران: ١٨٢]» [(١)].

والعبادة تطلق عادة على معنيين اثنين هما:

الأول: معنى عام يشمل كل عمل مباح يفعله المسلم، يبتغي به وجه الله تعالى، وهو المفهوم من قوله جلّ شأنه: **{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}**

(١) تفسير الشعراوي: ٨١/١.

[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] وقد نُقل إلينا أن رسول الله (ﷺ) كان جالساً في نفر من الصحابة، فمر بهم رجل، فذكر بعضهم نشاطه وهمته في العمل، وقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله، فقال (ﷺ): (إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة، فهو في سبيل الشيطان"[(١)]. فالعبرة لحسن النية، وصدق التوجه.

وقد اشتكى بعض الصحابة من فقرهم، وأن الأغنياء يشاركونهم العبادة، ويزيدون عليهم بالصدقة. فقد أخرج مسلم في صحيحه: عَنْ أَبِي ذَرٍّ «أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالُوا لِلنَّبِيِّ (ﷺ): يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»[(٢)].

فالحديث يخبر بأنواع من الصدقات.. كما في المسألة أبعد من ذلك، وهي قرب الرجل أهله، يكون له في ذلك أجر، لأنه يعف نفسه ويعف أهله. فالعمل العادي المباح يمكن أن يصبح عبادة، ومن ثم يحصل صاحبه على أجر، وما

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٢٩/١٩، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ٢٢٩/١، وأشار إلي صحة الحديث حيث قال: (طب) عن كعب بن عجرة (صح).

(٢) صحيح مسلم ٨٣/١.

أجمل أن تتحول العادة إلي عبادة وبذلك تحصل السعادة لأصحاب العبادة فيشرق وجهه ويضيء قلبه وتهدأ نفسه وتسمو روحه لكي يدخل في النداء الرباني {**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي**} [الفجر: ٢٧ – ٣٠].

ويتحدث محمد أسد عن شمول العبادة فيقول: «العبادة في الإسلام ليست محصورة في أعمال من الخشوع الخالص، كالصلاة والصيام مثلاً، ولكنها تتناول كل حياة الإنسان العملية أيضا، وإذا كانت الغاية من حياتنا – على العموم – عبادة الله تعالى، فيلزمنا حينئذ ضرورة أن ننظر إلى هذه الحياة في مجموع مظاهرها كلها، على أنها تبعة أدبية، متعددة النواحي، وعبادة الله في أوسع معانيها تؤلف في الإسلام معنى الحياة.. هذا الإدراك وحده يرينا أحكام بلوغ الإنسان الكمال، في إطار حياته الدنيوية الفردية، ومن بين سائر النظم الدينية، نرى الإسلام وحده يعلن: أن الكمال الفردي ممكن في الحياة الدنيا."[(١)].

وقد ذكر د. ماجد الكيلاني ثلاثة اتجاهات في العبادة: اتجاه ديني.. اتجاه اجتماعي.. اتجاه كوني.

والاتجاه الديني يتمثل في ممارسة الشعائر الدينية، بينما يتمثل الاتجاه الاجتماعي في علاقة الفرد بغيره، وضبط شبكة العلاقات الاجتماعية، أما الاتجاه الكوني فينظم علاقة الانسان بالكون، ويتطلب معرفة جيدة به.

ويرى د. الكيلاني وجوب تكامل وتساند هذه الاتجاهات كلها، كي لا يصاب التدين بنوع من القصور، أما إذا حصل انفصال بين هذه الاتجاهات، فحُصر مثلا مفهوم العبادة بأداء الشعائر فقط، فهنا سينتج عن ذلك بعض الآثار السلبية. منها:

(١) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة عمر فروخ، ص٢٠ وما بعدها بتصرف

١- **عدم الاهتمام بالاتجاهين:** الاجتماعي والكوني، وعندها تنحسر العلوم الاجتماعية والكونية، أو تنحرف عن مسارها الصحيح، فيعمل كل واحد ضد الآخر.

٢- **يفرز الفصل بين الاتجاهين الديني وغيره،** فريقاً من المتعلمين، بعضه يكون متدينا، لكنه يتصف بالسلبية والمسكنة، وفريقاً من الاجتماعيين، يتصف بالانفلات.

٣- إن الفصل يمكن ان يخرج نماذج من المتدينين، تتصف بالتواكل والكسل والجبرية، على حين تتصف مجموعة من المهنيين بالمادية الاستهلاكية (وهذا بعض ما نعانيه اليوم).

٤- لقد أفرز الفصل بعض العاملين في الحقلين الاجتماعي والكوني، بحيث صاروا متمردين على القيم والأخلاق، وهذا مما يشعل الصراع والتطاحن داخل المجتمعات الاسلامية، فتتولد انقسامات كثيرة، بحيث ينشغل أفراد المجتمع بذلك، (وجل مجتمعاتنا اليوم تعاني من ذلك)[١].

وهذا الفهم الشامل المتوازن كان واضحاً كل الوضوح لدى جمهور الصحابة لأنهم جددوا الدنيا بالدين، وبذلوا جهدهم بروح اليقين، وكان قدوتهم سيد المرسلين.

الثاني: معنى خاص: وهو قصر العبادة على الصلاة والصيام والحج والزكاة، وهذا المعنى هو المتبادر إلى الذهن. والأصل في هذا المعنى هو النص الصحيح، ذلك أن العبادة –المفروضة –غير معللة. وقد نقل عن علي بن أبي طالب (ﷺ) قوله: «لو كان الدين – أي العبادة – بالعقل، لكان مسح باطن القدم أولى من ظاهره»[٢].

---

(١) نظرية المعرفة في التربية الإسلامية : د. ماجد الكيلاني، دار المعرفة بيروت ص ٤٨.

(٢) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لأبي القاسم القرشي ٥٤٤/٢.

قال الشاطبي: "إن ما تعبد العباد به على ضربين: أحدهما: العبادات المتقرب بها إلى الله بالأصالة وذلك الإيمان وتوابعه من قواعد الإسلام وسائر العبادات، والثاني: العادات الجارية بين العباد التي في التزامها نشر المصالح بإطلاق وفي مخالفتها نشر المفاسد بإطلاق وهذا هو المشروع لمصالح العباد ودرء المفاسد عنهم وهو القسم الدنيوي المعقول المعنى والأول هو حق الله من العباد في الدينا والمشروع لمصالحهم في الآخرة ودرء المفاسد عنهم"(١)

وقد بين ابن تيمية هذا الشمول فقال: "العبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين، والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضاء بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضاء بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك من العبادة"(٢) وذكر أن الأخذ بالأسباب ومراعاة سنن الله الكونية واستخدام ما يسر الله له من الأسباب عبادة فقال"فما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة، والتوكل مقرون بالعبادة، كما في قوله تعالى: **{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}** [هود:١٢٣] وفي قوله: **{قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ}** [الرعد:٣٠]

(١) الموافقات للشاطبي ٢/٢١٥.

(٢) رسالة العبودية لابن تيمية، المكتب الإسلامي ص ٣٨.

وقول شعيب (عليه السلام): {**عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**} [هود:٨٨]"[١] عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالصَّدَقَةِ؟"قَالُوا: بَلَى قَالَ: "إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ قَالَ: وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ"[٢].

ويتبين لنا مما سبق أن العبادة مفهوم شامل، وهذا الشمول له مظهران:

١- الدين كله والحياة قاطبة: {**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**} [الأنعام:١٦٢] ٢- الإنسان كله ظاهره وباطنه حركاته وسكناته؛ فالأمر بالعبادة يكون من البداية إلي النهاية مستوعبا الزمان والمكان، لذا خاطب أعبد الخلق، وأتقاهم سيدنا محمد (ﷺ) بقوله تعالي: {**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**} [الحجر: ٩٩].

والأمر بالعبادة كان النداء الأول لكل رسالة وهي المهمة الأولي لجميع الأنبياء والمرسلين: {**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**} [النحل: ٣٦].

العبادة الخالصة لله وحده، هي العهد الذي أخذه الله علي بني آدم، قد ذكره ووثقه في القرآن الكريم قال تعالي: {**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**} [يس: ٦٠، ٦١] ويتجدد هذا العهد مع الله في كل وقت وحين في قوله تعالي: {**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**} [الفاتحة: ٥] فكان المقصود الأعظم من بعثة النبيين وإرسال المرسلين هو التذكير بهذا العهد بين البشر وخالقهم بين العبد والمعبود (سبحانه وتعالى) عما يصفون.

---

(١) رسالة العبودية لابن تيمية، المكتب الإسلامي: ص ٧٣.

(٢) سنن الترمذي ٦٦٣/٤ وقال حديث صحيح.

وإذا أصبح الإنسان عبداً وحقق معناها فقد نال شرفا ما بعده شرف وكرامة ما بعدها كرامة، وقد أحرز النبي (ﷺ) هذا الوسام واللقب قال تعالي: {**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**} [الإسراء: ١] ولما كانت العبادة بهذه الأهمية فقد مهد الله لها الطريق، وفتح لعباده الأبواب العديدة – فالطريق إلي الخالق بعدد أنفاس الخلائق –، ووسع لهم المداخل التي يلجون منها إلي كل خير، فشرع الله الرخص، وخفف عنهم التكاليف رحمة منه وشفقة علي عباده ذلك المخلوق الضعيف الذي أحبه الله فاصطفاه وكرمه {**يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا**} [النساء: ٢٨].

ومـــما زادني شـــرفا وتيها * وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي * وأن صيرت أحمد لي نبياً

من هنا كانت العبادة بمفهومها العام، هي المقصد الأعلى من خلق الإنـــسان، بعد استخلافه في الأرض، فكانت العبادة لازمة للخلافة ومـــن مقوماتهـــا فهـــي الغاية الكبرى مع الغاية العظمي ثم تأتي مهمة أخري من خلق الإنـــسان وهـــي العمارة.

المطلب الثالث
عمارة الأرض

ثالثا: عمارة الأرض:

إن عمارة الأرض مقصد ثالث من مقاصد القرآن لخلق الإنسان والغاية من وجوده بعد استخلافه ولا يتحقق ذلك إلا بالعبادة ثم يأتي التطبيق العملي بعمارة الأرض – التي عليها حياته وفي باطنها مماته – وقد دلّ علي هذه الحكمة والغاية قوله تعالي: {**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيب**}[هود: ٦١].

مفهوم عمارة الأرض:

لغة: مشتقة من عمر المكان أي أصلحه وبناه، وضده الهدم والخراب والفساد.

اصطلاحا: تعمير الأرض بالعمل الصالح المادي والمعنوي المؤدي إلى الانتفاع بخيراتها بلا إفساد، واستصلاح أحوالها بما ييسر للإنسان الحياة الطيبة، وبما يحقق مرضاة الله تعالى. فاقتران استعمار الأرض بإنشاء الإنسان قرينة علي أن عمارة الكون غاية من غايات خلق الإنسان.(١)

خلق الله تعالى الكون ثم استخلف الإنسان في الأرض ليقوم بإعمارها على الوجه الأكمل الذي ينفع الخلق ويرضي الخالق يقرر علال الفاسي، أن"المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع(٢)، وحين يخاطبنا القرآن بقوله تعالى: {**هُوَ**

(١) مبدأ الإنسان، د عبد الحميد النجار ص ٦٠.

(٢) مقاصد الشريعة ومكارمها، لعلال الفاسي ص ٤٣.

أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: ٦١] فإنه يطلب منا بصيغة الأمر أن نعمل على عمارة الأرض بكل ما نستطيع، والتقصير في تنفيذ هذا الأمر معصية جماعية تجني الأمة ثمرتها فقرا ومرضا ومذلة وهوانا وتخلفا وتبعية لأمم الأرض.(١)

مع ملاحظة مهمة وهي أن الله (ﷻ) لم يقل إنه عمر الأرض لكم، بل أنه سبحانه خلق هذا الكون وأودع فيه الثروات والخيرات والإمكانات، ثم فوض إلى الإنسان أن يستغل هذه الثروات والإمكانات من أجل إعمار الأرض- فسبحانه -عندما طلب من الإنسان أن يعمر الأرض لم يتركه تائها، بل وفر له أهم المقومات وتتمثل في أمرين:الأول: الإمكانات والوسائل التي يتمكن بها من عمارة الأرض. الثاني: القدرة العقلية التي تجعله قادرا على الاستفادة من هذه الثروات وهذه الإمكانات والوسائل قد منحها الله للإنسان – بالتسخير – ومعناه الانتفاع بالشيء بلا أجر أو ثمن (٢) قال تعالي: **{أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}** [لقمان: ٢٠] فكل ما في السموات وما في الأرض سخره الله تعالى لبني آدم كرما منه وفضلا، والتعبير بلفظ – لكم – في قوله تعالي: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا}** [البقرة: ٢٩]، بيان «قُدْرَتَهُ الْكَامِلَةَ، وَنِعَمَهُ الشَّامِلَةَ، وَأَيُّ قُدْرَةٍ أَكْبَرُ مِنْ قُدْرَةِ الْخَالِقِ؟ وَأَيُّ نِعْمَةٍ أَكْمَلُ مِنْ جَعْلِ كُلِّ مَا فِي الْأَرْضِ مُهَيَّئًا لَنَا وَمُعَدًّا لِمَنَافِعِنَا؟»"وَلِلْانْتِفَاعِ بِالْأَرْضِ طَرِيقَانِ:

(أَحَدُهُمَا): الِانْتِفَاعُ بِأَعْيَانِهَا فِي الْحَيَاةِ الْجَسَدِيَّةِ.

(وَثَانِيهُمَا): النَّظَرُ وَالِاعْتِبَارُ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْأَرْضُ: هِيَ مَا فِي الْجِهَةِ السُّفْلَى، أَيْ مَا تَحْتَ أَرْجُلِنَا، كَمَا أَنَّ الْمُرَادَ بِالسَّمَاءِ: كُلُّ مَا فِي الْجِهَةِ

(١) الوحي والإنسان – قراءة معرفية، لمحمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة، القاهرة.

(٢) قيمة الإنسان، د عبد الحميد النجار ص ٧٤.

الْعُلْيَا، أَيْ فَوْقَ رُؤسِنَا وَإِنَّنَا نَنْتَفِعُ بِكُلِّ مَا فِي الْأَرْضِ بَرِّهَا وَبَحْرِهَا مِنْ حَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ وَجَمَادٍ، وَمَا لَا تَصِلُ إِلَيْهِ أَيْدِينَا نَنْتَفِعُ فِيهِ بِعُقُولِنَا بِالِاسْتِدْلَالِ بِهِ عَلَى قُدْرَةِ مُبْدِعِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَالتَّعْبِيرُ بِـ"فِي" يَتَنَاوَلُ مَا فِي جَوْفِ الْأَرْضِ مِنَ الْمَعَادِنِ بِالنَّصِّ الصَّرِيحِ(١).

فهذه الآيات جاءت موجهة للإنسان إلى هذه المهمة المطلوبة منه في هذه الحياة، وهي عمارة الأرض.

إن الجنسَ البشري «على وجه العموم" مطالَبٌ بإعمار هذه الأرض، «والمسلم على وجه الخصوص" واجبٌ عليه ذلك؛ من الناحية الإيمانية، ومن الناحية الإنسانية، فنفعُ المسلم يتعدَّاه إلى غيره من الناس جميعًا، على اختلاف مِلَلِهم ونِحَلِهم، وهو مطالَبٌ بالتعايش مع البشر جميعًا في إطارٍ من التعاون الإنساني، والتعارف الذي لا يُخِلُّ بواجباته نحو خالقه (ﷻ).

إن الله تعالى فوّض أمر إعمار الأرض إلى الإنسان وهيّأ له الوسائل والظروف التي تعينه على ذلك وطلب أن يفكّر ويبحث ويسعى وينتج، وبدون ذلك لا يحصل إعمار، فلا اتكالية ولا تقاعس ولا كسل وإنما لابد من العمل والله تعالى يبارك فيه ويؤتي ثماره بلطفه.

وقد ربط الله تعالى عمارة الأرض بالوجود الإنسانى، فقال سبحانه: **{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ}** [النحل: ٧٢]

ولا تتأتى عمارة الأرض إلا بالحركة فيها، والحركة في الأرض أوسع من أن تتحملها الطاقة النفسية لفرد واحد، بل لا بد أن تتكاتف الطاقات كلها لإنشاء هذه العمارة. في قوله تعالي: **{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى**

(١) تفسير المنار: ٢٠٦/١.

الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: ٢] إذن فالتعاون أمر ضروري للاستخلاف في الحياة. ومادام الاستخلاف في الحياة يقتضي من الإنسان عمارة هذه الحياة، وعمارة الحياة تقتضي ألا نفسد الشيء الصالح بل نزيده صلاحا(١).

كذلك كل نبي استخلفه الله في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم، لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه، بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه(٢) واستدل الكسائيّ (رحمه الله) بهذه الآية(٣)، على أن عمارة الأرض واجبة لطلبها منهم وقسمها في الكشاف إلى واجب ومندوب ومباح وحرام(٤).

إن عمارةَ الأرض تأخذ صورًا شتى؛ فهي تشمَل الزراعة، والصناعة، واستخراج ما في باطنها من كنوز وثروات، كذلك تشمل إعمال العقل في كلِّ ما يفيد هذه البشرية وتلك الإنسانية.

والذي يتدبَّر السنَّة الشريفة يجد أن النبي (ﷺ) حثَّنا على الإعمار والإصلاح في كل وقت وحينٍ؛ فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسولُ الله (ﷺ): «ما مِن مسلم يغرِس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طيرٌ أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»(٥)، وروى الإمامُ أحمد في مسنده عن أنسِ بن مالك (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (ﷺ): «إِنْ قَامَتِ

(١) تفسير الشعراوي: ٢٩٠٧/٥.
(٢) تفسير البيضاوي: ٦٨/١.
(٣) آية ٦١ من سورة هود.
(٤) حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي ١٠٩/٥.
(٥) صحيح البخاري: ٨١٧/٢، صحيح مسلم: ٢٨/٥.

السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»[1] ومعني هذا أن علي الإنسان أن يعمر الأرض إلي آخر لحظة في حياته وإن لم ينتفع هو بها لأن – الفسيلة – هي النخلة الصغيرة فثمرتها لمن جاء بعده وبذلك يتحقق الإعمار جيلا بعد جيل وبذلك تحقق معني الخلافة الحقة، إنها دفعة عجيبة للعمل والاستمرار فيه والإصرار عليه، وبمثل هذه الروح الجبارة تعمر الأرض حقا وتشيد فيها الحضارات، والإسلام حين يدعو لتعمير الأرض والعمل في سبيلها يعلمنا أن الدنياطريق للآخرة لأنه لا يفصل بين الدنيا والآخرة.

كذلك اهتم الإسلامُ بالصناعة والحرفة كسبيل من سبل الإعمار في الأرض؛ فقال تعالى مخبرًا عن نبي الله داود (عليه السلام):

{وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} [الأنبياء: ٨٠]، روى البخاريُّ في صحيحه عن المقدام بن معد يكرب (رضي الله عنه) أن رسولَ الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبيَّ الله داود كان يأكلُ من عمل يده"[2]. ولكي يكتملَ إعمار الأرض لا بد من العمل الدؤوب لتحقيق ذلك، وقد امتلأ القرآن الكريم بالآيات التي توزعت على الكثير من سوره، اقترن فيها الإيمانُ بالعمل الصالح، الذي يكون مردودُه بالإيجاب على الفرد والمجتمع؛ قال الله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَمَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}** [الكهف: ٣٠]، بل إن اللهَ تعالى أمَرنا – على سبيل الوجوب – بهذا العمل؛ قال سبحانه: **{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}** [التوبة: ١٠٥].

---

(١) المسند للإمام أحمد:حديث رقم ١٢٩، وقال الشيخ شعيب إسناده صحيح.

(٢) صحيح البخاري ٢/٧٣٠.

وأكَّدت السنَّة الشريفة على ذلك؛ فقد روى البخاري في صحيحه عن الزبير بن العوام (ﷺ): أن رسولَ الله (ﷺ) قال: "لأن يحتطب أحدُكم حزمة على ظهره، خيرٌ له من أن يسأل الناسَ، أعطَوْه أو منعوه"(١)، وفي وصيةِ للقمان (عليه السلام) يحث ابنه فيها على العمل قائلًا: "يا بني، استغنِ بالكسب الحلال عن الفقرِ؛ فإنه ما افتقَر أحدٌ قط إلا أصابه ثلاثُ خصال؛ رقةٌ في دِينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم مِن هذه الثلاث: استخفافُ الناس به)، وقال عمر بن الخطاب (ﷺ): (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزُقْني؛ فقد علمتم أن السماءَ لا تُمطِر ذهبًا ولا فضة"(٢).

والإسلام لا يفصل بين الدنيا والآخرة، وإن هذا الربط ذاته هو الذى يوازن بين الدنيا والآخرة في هذه العقيدة، إذ يحدث عدم التوازن حين تنفصل الدنيا عن الآخرة في حس الإنسان، فيقوم بأعمال على أنها للدنيا وحدها منفصلة عن الآخرة، وأعمال أخرى على أنها للآخرة وحدها منفصلة عن الدنيا، عندئذ لابد أن يحدث الاختلال في حسه فتغلب مجموعة من الأعمال على الأخرى. فإما أن تجذبه الدنيا رويداً رويداً حتى ينسى الآخرة، وإما أن تجذبه الآخرة رويداً رويداً حتى ينسى الدنيا. وكلاهما في نظر الإسلام اختلال. فالأول ينشغل بالسعي وراء الرزق والحصول على أكبر قدر من متاع الدنيا، والآخر يزهد في متاع الدنيا وينشغل عن طلب الرزق وتعمير الأرض. ويصبح كل منهما مقصراً وآثماً في حق الله.

إنما يحدث التوازن الذى تشير إليه الآية: :{**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ**} [القصص:

(١) صحيح البخاري ٨٣٦/٢.

(٢) إحياء علوم الدين ٦٢/٢.

٧٧] حين ترتبط الدنيا والآخرة في حس الإنسان فيعمل للآخرة وهو يعمل للدنيا في ذات الوقت. فلا يهمل العبادة ولا يهمل عمارة الأرض

ستجد أن المطلوب منك هو حركة الحياة؛ لأن تلك الحركة هي الفاصل بين الحياة والموت فقد أعطاك الحق سبحانه العقل لتفكر، وأعطاك الطاقة لتفعل، وسخَّر لك الكون بالمطمور فيه من الرزق؛ لتستخرجه وتتعيش منه.(١)

حتى قال علماء المسلمين: كل ما يحتاج الناس لتعلمه لتنمو حياتهم وتتكامل يعتبر فرض كفاية عليهم أن يتعلموه، ومن ذلك العلوم الدنيويةومنه الفنون والصناعات التي يتوقف عليها حفظ البلاد وشئون المعاش وَالصحة. تأثم الأمة كلها إذا لم يقم به من تحصل بهم كفاية الأمة والبلاد(٢).

لقد سبَق المسلمين كثيرٌ مِن الأمم التي أخذت بأسباب هذا السبق؛ حيث تكاتفت وتعاونت، وأخذَتْ أمورها على محمل الجِد، فأعطاها الله تعالى على قدرِ اجتهادها، حتى ولو كان مقصدها الدنيا فقط، وهذا قانونٌ إلهيٌّ لا يتغير ولا يتبدل؛ قال الله تعالى: **{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ}** [هود: ١٥]، ولو أننا رجَعْنا بالذاكرة إلى تاريخنا الإسلامي الممتد عبر القرون وقارناه بعهدنا الحالي، لعلِمْنا الفرق الشاسع والبون الواسع بين العهدين، وما نحن فيه الآن من تقصير، والتاريخ ينبئنا أن الحضارةَ الإسلامية علَّمت الدنيا بأَسْرِها في الوقت الذي أطبق فيه الظلامُ على العالم أجمعَ، خاصة أوروبا، فيما يعرف بـــ: العصور المظلِمة، لا ينكر أحد ذلك، أو يجهله، مِن هنا أو هنالك.

---

(١) تفسير الشعراوي: ٦٨٠١/١١.

(٢) تفسير المنار: ٢٥٥/٨.

وما دام معنى إعمار الأرض يتحقق بجعلها على نحو مثمر ينتفع به، كما تقدم في التعريف فإذن هو يشمل كل نواحي الحياة لكلٍ بحسبه، فهناك الإعمار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والزراعي والعلمي وغير ذلك، لأنها كلها تساهم في تحقيق هذا المعنى فكأن الإعمار مرادفٌ للإصلاح أو هو نتيجته؛ لذا نهي الله عن الإفساد في الأرض فقال: **{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** [الأعراف:٨٥].

قال الشيخ رشيد رضا: "أَيْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِعَمَلٍ ضَائِرٍ وَلَا بِحُكْمٍ جَائِرٍ، مِمَّا يُنَافِي صَلَاحَ النَّاسِ فِي أَنْفُسِهِمْ كَعُقُولِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ وَآدَابِهِمُا الشَّخْصِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ، أَوْفِي مَعَايِشِهِمْ وَمَرَافِقِهِمْ مِنْ زِرَاعَةٍ وَصِنَاعَةٍ وَتِجَارَةٍ وَطُرُقِ مُوَاصَلَةٍ وَوَسَائِلِ تَعَاوُنٍ – لَا تُفْسِدُوا فِيهَا بَعْدَ إِصْلَاحِ اللهِ تَعَالَى لَهَا بِمَا خَلَقَ فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ، وَمَا هَدَى النَّاسَ إِلَيْهِ مِنِ اسْتِغْلَالِهَا وَالِانْتِفَاعِ بِتَسْخِيرِهِ الَهُمْ، وَامْتِنَانِه بِهَا عَلَيْهِمْ، بِمِثْلِ قَوْلِه: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا}** [البقرة: ٢٩] فَالْإِصْلَاحُ الْأَعْظَمُ إِنَّمَا هُوَ إِصْلَاحُهُ تَعَالَى لِحَالِ الْبَشَرِ، بِهِدَايَةِ الدِّينِ وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَإِكْمَالِ ذَلِكَ بِبِعْثَةِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، الرَّحْمَةِ الْعَامَّةِ لِلْعَالَمِينَ، فَأَصْلَحَ بِهِ عَقَائِدَ الْبَشَرِ بِبِنَائِهَا عَلَى الْبُرْهَانِ، وَأَصْلَحَ بِهِ أَخْلَاقَهُمْ وَآدَابَهُمْ بِمَا جَمَعَ لَهُمْ فِيهَا بَيْنَ مَصَالِحِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ وَمَا شَرَعَ لَهُمْ مِنَ التَّعَاوُنِ وَالتَّرَاحُمِ.

وَالْإِفْسَادُ بَعْدَ الْإِصْلَاحِ أَظْهَرُ قُبْحًا مِنَ الْإِفْسَادِ عَلَى الْإِفْسَادِ، فَإِنَّ وُجُودَ الْإِصْلَاحِ أَكْبَرُ حُجَّةً عَلَى الْمُفْسِدِ إِذَا هُوَ لَمْ يَحْفَظْهُ وَيَجْرِي عَلَى سَنَنِه. فَكَيْفَ إِذَا هُوَ أَفْسَدَ وَأَخْرَجَهُ عَنْ وَضْعِه؟ وَلِذَلِكَ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ، وَإِلَّا فَالْإِفْسَادُ مَذْمُومٌ وَمَنْهِيٌّ عَنْهُ فِي كُلِّ حَالٍ، فَقَدْ أَصْلَحَ اللهُ تَعَالَى حَالَ الْبَشَرِ بِنِظَامِ الْفِطْرَةِ وَكَمَالِ الْخِلْقَةِ، وَمَكَّنَهُمْ مِنْ إِصْلَاحِ الْأَرْضِ بِمَا آتَاهُمْ مِنَ الْقُوَى الْعَقْلِيَّةِ وَالْجَوَارِحِ، وَبِمَا أَوْدَعَ فِي خَلْقِ الْأَرْضِ مِنَ السُّنَنِ الْحَكِيمَةِ، وَبِمَا بَعَثَ بِهِ الرُّسُلَ مِنْ مُكَمِّلَاتِ الْفِطْرَةِ، فَالْإِفْسَادُ إِزَالَةُ صَلَاحٍ أَوْ إِصْلَاحٍ، وَقَدْ كَانَ قَوْمُ شُعَيْبٍ مِنَ الْمُفْسِدِينَ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا

كَمَا يُعْلَمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَمَا بَعْدَهَا، وَالْإِصْلَاحُ مَا يَكُونُ بِفِعْلِ فَاعِلٍ، وَهُوَ إِمَّا الْخَالِقُ الْحَكِيمُ وَحْدَهُ، وَإِمَّا مَنْ سَخَّرَهُمْ لِلْإِصْلَاحِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ، وَالْحُكَّامِ الْعَادِلِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الْقِسْطَ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ يَنْفَعُونَ النَّاسَ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، كَالزُّرَّاعِ وَالصُّنَّاعِ وَالتُّجَّارِ أَهْلِ الْأَمَانَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَهَذِهِ الْأَعْمَالُ تَتَوَقَّفُ فِي هَذَا الْعَصْرِ عَلَى عُلُومٍ وَفُنُونٍ كَثِيرَةٍ، فَهِيَ وَاجِبَةٌ وِفْقًا لِقَاعِدَةِ مَالَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ"(١).

وكشف القرآن الكريم عن حقيقة اجتماعية وأخلاقية بعيدة الأثر، ألا وهي أن الإنسان وحده هو العنصر الأساسي في كل فساد يقع في الأرض، وكل انحراف يصيب المجتمع، وأنه هو المسؤول مباشرة عن نتائج فساده وإفساده ماديا وروحيا، فما عليه إلا أن يتحمل نتائج عمله انحلالا واختلالا، خرابا وزوالا، ولو وقف الإنسان في سلوكه عند حد الصلاح والإصلاح، اللذين من أجلهما توّجه الله بالخلافة عنه في عمارة الأرض، لما وقع في الأرض فساد، ولسعدت البلاد والعباد، وذلك ما ينطق به قوله تعالى: **{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}** [الروم: ٤١].

ومن مظاهر الفساد في الأرض الإباحية التي تتحدى كل القيم والأخلاق، واحتكار الثروات والأرزاق، والتنكر لدين الحق، وتجاهل الخالق واحتقار الخلق(٢).

وعندما عرض القرآن الكريم قصة بدء الخليقة والنشأة الأولى أشار في سياق ذلك إلى أن أكبر مهدد لاستمرار الحياة الطبيعية على هذا الكوكب الوليد؛

(١) تفسير المنار ٨/٤١٠، ٤٦٩ وما بعدها بتصرف.

(٢) التيسير في أحاديث التفسير، لمحمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٥م.

إنما يأتي من سفك الدماء والإفساد في الأرض؛ فقال (ﷻ): {**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَالَا تَعْلَمُونَ**} [البقرة: ٣٠]إن الله تعالى قادر على أن يبدل النعمةَ نقمة، إذا لم يحسن الإنسان استخدامها، أو جعَلها أداة للخراب لا العمار، وقد أعطانا القرآنُ الكريم النماذج لذلك، فها هو الماء الذي منه سبب الحياة يجعله الله تعالى سببًا لهلاك أُمَم بأَسْرها؛ فقد أغرق الله تعالى المكذبين من قوم نوح في هذا الماء، وأغرق قوم فرعون في هذا الماء، وانتظر قوم عاد المطر يأتيهم من السماء لإنقاذهم، فإذ به يتحوَّلُ إلى حجارة تهلِكهم جميعًا؛ فسبحان اللهِ القدير الذي يحوِّلُ سبب الحياة إلى سبب للعذاب والهلاك بأفعال بني آدم بفساده وإفساده لذا قال تعالي مخاطبا قارون: {**وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**} [القصص: ٧٧].

وعمارة الأرض إرث لعباد الله الصالحين: الله (ﷻ) يورث عباده الصالحين عمارة الأرض، فيمكن الأكفاء الذين يستطيعون تحمل مسؤولية قيادة المجتمعات والأمم بالعلم والحكمة. قال سبحانه: {**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ**} [الأنبياء: ١٠٦]

قال صاحب الأساس : «ولقد وضع الله للبشر منهجا كاملا متكاملا للعمل على وفقه في هذه الأرض، منهجا يقوم على الإيمان والعمل الصالح. وفي الرسالة الأخيرة للبشر فصل هذا المنهج، وشرع له القوانين التي تقيمه وتحرسه، وتكفل التناسق والتوازن بين خطواته».

في هذا المنهج ليست عمارة الأرض واستغلال ثرواتها والانتفاع بطاقاتها وهو حده المقصود. ولكن المقصود هو هذا مع العناية بضمير الإنسان؛ ليبلغ

الإنسان كماله المقدر له في هذه الحياة. فلا ينتكس حيوانا في وسط الحضارة المادية الزاهرة، ولا يهبط إلى الدرك بإنسانيته وهو يرتفع إلى الأوج في استغلال موارد الثروة الظاهرة والمخبوءة. والوراثة الأخيرة هي للعباد الصالحين، الذين يجمعون بين الإيمان والعمل الصالح. فلا يفترق في كيانهم هذان العنصران ولا في حياتهم.

وحيثما اجتمع إيمان القلب ونشاط العمل في أمة فهي الوارثة للأرض في أية فترة من فترات التاريخ. ولكن حين يفترق هذان العنصران فالميزان يتأرجح. وقد تقع الغلبة للآخذين بالوسائل المادية حين يهمل الأخذ بها من يتظاهرون بالإيمان وحين تفرغ قلوب المؤمنين من الإيمان الصحيح الدافع إلى العمل الصالح، وإلى عمارة الأرض والقيام بتكاليف الخلافة التي وكلها الله إلى هذا الإنسان. وما على أصحاب الإيمان إلا أن يحققوا مدلول إيمانهم، وهو العمل الصالح، والنهوض بتبعات الخلافة ليتحقق وعد الله، وتجري سنته: {**أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**} [الأنبياء:١٠٥] فالمؤمنون العاملون هم العباد الصالحون(١).

إن المسلمَ مطالَب بتعمير هذه الأرض بعقيدة راسخة، بعلم نافع، بعمل متقن، بصدق تعامل، بأداءِ أمانة، بوفاء وعد، بسلوك رشيد، بإنتاج جيد، بعيدًا عن التكبُّرِ والغرور والجشَع والطمع، وكل ما يُخِلُّ بالفطرة الإنسانية التي فطَر اللهُ الناس عليها، وهذا الزمن الذي نعيشه، وواقعنا الذي نحياه أحوج ما نكون فيه إلى العمل والإعمار مِن غيره، بعدما تخلَّف بنا الرَّكْب، ودب النزاع والشقاق بيننا، فلماذا لا نصلح الدنيا بالدين؟

وهكذا تجلت حكمة الله في القرآن في بيان مقاصد خلق الإنسان.

(١) الأساس في التفسير، لسعيد حوي، دار السلام، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤٢٤هـ، ٣٤٩٧/٧.

الخاتمة

نسأل الله حسنها

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنال الدرجات، له الحمد الكثير والشكر الكبير، يَمُن بالتوفيق ثم يثيب عليه، إنه الكريم الجواد.

فقد تم فضله وعظمت منته؛ بإنجاز هذا البحث المتواضع والذي جاء بعنوان **(التفسير المقاصدي للقرآن الكريم خلق الإنسان نموذجا).**

وكان من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ما يلي:

(١) علم مقاصد القرآن؛ علم لا غني عنه لأنه نتيجة للتدبر، فيهدي إلي لب المعني وجوهر الدلالة، ويوقف المفسر علي معاني التنزيل و مرادات النص القرآني بشموله وإحاطته.

(٢) **تسليط الضوء على** التفسير المقاصدي للقرآن الكريم يعتبر ملمحا تجديدياً؛ لأنه يفسر القرآن بمنطوقه ومفهومه مراعيا الإدراك والشمول لكل آياته.

(٣) من مميزات التفسير المقاصدي الجمع بين النظرية والتطبيق، وبين الاكتساب والموهبة.

(٤) التفسير المقاصدي و إن كان – المصطلح – حديث النشأة؛ إلا أنه أصيل لدي المفسرين من جهة مراعاته وتطبيقه.

(٥) إن ضبط مصطلح – التفسير المقاصدي – يؤسس للون عظيم من ألوان التفسير ويخرج منه ما تشابه معه من أنواع مثل التفسير الموضوعي

(٦) بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة علاقة –العموم والخصوص– الوجهي؛ فمن جهة يمكن عد مقاصد القرآن أعم من مقاصد الشريعة باعتبار الموضوع؛ فمقاصد القرآن تشمل العقيدة والأخلاق، والترغيب والترهيب، ومن

جهة أخري تعد مقاصد الشريعة أعم باعتبار وسائل تحصيلها إذ تشمل مصادر التشريع كلها.

(٧) إنّ نشأة التفسير المقاصدي تعود في أساسها إلي تفسير الصحابة رضوان الله عليهم، ثم تطور علم التفسير واستوي على سوقه بمؤلفات مستقلة، ثم ظهر التفسير المقاصدي بوضوح وجلاء ــ من وجهة نظري ــ علي يدي علمين من أعلام التفسير هما الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور.

(٨) التفسير المقاصدي له ضوابطه ومقوماته،، وبذلك يقطع الطريق علي الذين يتذرعون بالمقاصدية في تأويلاتهم المنفلتة.

(٩) كان من تطبيقات التفسير المقاصدي للقرآن خلق الإنسان فالخطاب القرآني تمحور حول الإنسان نشأة ومصيرا، بداية ونهاية، تشريفا وتكليفا، ثوابا وعقابا، حتي إن الحديث عن الكون وما فيه جاء مسخرا للإنسان لخدمته وطاعته بإذن الله.

(١٠) بين لنا القرآن الكريم أهم المقاصد والغايات من خلق الإنسان، وهي الخلافة بمفهومها العام، والعبادة بمفهومها الشامل، والعمارة للكون قاطبة.

هذا والحمد لله علي التمام بعد نعمة الإسلام، وقد بذلت جهدي قدر استطاعتي، وحاولت بمقدور طاقتي، فما كان فيه من صواب فمن الله وما كان فيه من زلل فليغفر الله لي إنه – سبحانه– الغفور الرحيم، والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين، وعلي آله وصحبه أجمعين.

خادم القرآن الكريم

أحمد المصري

المصادر والمراجع

(١) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة بيروت.
(٢) الأساس في التفسير، لسعيد حوي، دار السلام، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤٢٤هـ ٧/ ٣٤٩٧.
(٣) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين بيروت.
(٤) الأعلام لخير الدين الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢م.
(٥) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولي، ١٩٥٧م.
(٦) بصائر ذوي التمييز لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين الفيروزآبادى، تحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط ١٩٩٦م.
(٧) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور التونسي ــ الطبعة التونسية: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، ١٩٩٧م.
(٨) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، تحقق عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ.
(٩) تفسير البيضاوي – أنوار التنزيل وأسرار التأويل – تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.
(١٠) تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي، والسيوطي، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولي.
(١١) تفسير الشعراوي، للشيخ محمد منولي الشعراوي، مؤسسة أخبار اليوم.
(١٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولي – ١٤١٩هـ.
(١٣) تفسير القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – تحقيق: أحمد البردوني دار الكتب المصرية القاهرة الطبعة الثانية، ١٩٦٤م.

(١٤) التفسير المقاصدي للقرآن الكريم، علي محمد أسعد، مجلة إسلامية المعرفة، عدد ٨٩، ٢٠١٧م.
(١٥) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م
(١٦) التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠١٢م.
(١٧) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، للراغب الأصفهاني، دار الحياة بيروت.
(١٨) التيسير في أحاديث التفسير، لمحمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٥م.
(١٩) جامع البيان في تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
(٢٠) الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم، رضوان الأطرش ونشوان عبده، مجلة الإسلام في آسيا العدد الأول، ٢٠١١م.
(٢١) حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي –عناية القاضي وكفاية الراضي علي تفسير البيضاوي – لشهاب الدين الخفاجي، دار صادر بيروت.
(٢٢) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لأبي القاسم القرشي، دار الراية، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
(٢٣) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
(٢٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام – القاهرة، ٢٠٠٧م.
(٢٥) الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر
(٢٦) رسالة العبودية، لابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت،، الطبعة السابعة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
(٢٧) السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير، للسيوطي، الناشر دار الصديق – توزيع مؤسسة الريان، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

(٢٨) سنن الترمذي – الجامع الكبير– لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.
(٢٩) صحيح البخاري – الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه –لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
(٣٠) فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.
(٣١) القاموس المحيط للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة الطبعة الثامنة، بيروت.
(٣٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ١٩٩١م.
(٣٣) قيمة الإنسان، د. عبد الحميد النجار، دار الزيتونة، الرباط، المغرب، الطبعة الأولي، ١٩٩٦م.
(٣٤) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، مكتبة المثني، بغداد.
(٣٥) كيف نتعامل مع القرآن للشيخ محمد الغزالي، دار نهضة مصر.
(٣٦) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.
(٣٧) مبدأ الإنسان، د عبد الحميد النجار، دار الزيتونة، الرباط، المغرب، الطبعة الأولي، ١٩٩٦م.
(٣٨) المدخل إلي مقاصد القرآن الكريم د /عبد الكريم حامدي، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولي، ٢٠٠٧م.
(٣٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة للطباعة، مصر.
(٤٠) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٤١) مصاعد النظر للإشراف علي مقاصد السور، لبرهان الدين البقاعي، مكتبة المعارف الرياض.
(٤٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الجيل، بيروت.
(٤٣) معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس، حامد صادق قنيبي، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
(٤٤) مقاصد الشريعة الإسلامية، للطاهر بن عاشور، تحقيق محمد الحبيب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر.
(٤٥) مقاصد الشريعة ومكارمها لعلال الفاسي، مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء.
(٤٦) مقاصد القرآن الكريم من تشريع الأحكام، د/عبد الكريم الحامدي، دار ابن حزم، الطبعة الأولي، ٢٠٠٨م.
(٤٧) مقاصد المقاصد، د/ أحمد الريسوني، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت لبنان.
(٤٨) مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، الطبعة الأولي، ١٩٧٩م.
(٤٩) مقومات التكليف، د/ راتب النابلسي، موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، سوريا.
(٥٠) مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد الزرقاني، تحقيق فواز أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولي ١٩٩٥م.
(٥١) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي، تحقيق مشهور حسن، دار بن عفان الطبعة الأولي، ١٩٩٧م.
(٥٢) نظرية المعرفة في التربية الإسلامية : د. ماجد الكيلاني، دار المعرفة بيروت.
(٥٣) الوحي والإنسان – قراءة معرفية، لمحمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة، القاهرة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص العربي	١٦٦٧
الملخص إنجليزي	١٦٦٨
المقدمة	١٦٦٩
المبحث الأول: مفهوم التفسير المقاصدي	١٦٧٣
• **المطلب الأول:** تعريف التفسير والمقاصد	١٦٧٣
• **المطلب الثاني:** بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة	١٦٧٧
• **المطلب الثالث:** التفسير المقاصدي	١٦٧٩
المبحث الثاني: علم المقاصد عند المفسرين	١٦٨١
• **المطلب الأول:** مراحل التفسير	١٦٨١
• **المطلب الثاني:** نشأة التفسير المقاصدي وتطوره	١٦٨٢
المبحث الثالث: أهمية التفسير المقاصدي ومقوماته	١٦٩٣
• **المطلب الأول:** أهمية التفسير المقاصدي	١٦٩٣
• **المطلب الثاني:** مقومات التفسير المقاصدي للقرآن الكريم	١٦٩٦
المبحث الرابع: مقاصد القرآن في خلق الإنسان	١٧٠١
• **المطلب الأول:** الخلافة	١٧٠٣
• **المطلب الثاني:** العبادة	١٧١٠
• **المطلب الثالث:** عمارة الأرض	١٧١٩
الخاتمة	١٧٣٠
المصادر والمراجع	١٧٣٢
فهرس الموضوعات	١٧٣٧